مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية-المجلد التاسع- العدد الأول(١٤٣٢هـ-٢٠١١م)

نقد المعاصرين التقسيم الثلاثي للبلاغة في منهج المتأخرين

الدكتور/ يحيى بن محمد عطيف

الأستاذ المشارك بكلية العلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الملك خالد

ملخص البحث:

شهد التفكير البلاغي القديم مرحلتين متباينتين: يغلب على الأولى الطابع الأدبي الذوقي، ويعرف أصحابها بالمتقدمين، ويغلب على الأخرى الطابع العلمي القاعدي، ويعرف أصحابها بالمتأخرين. وكانت مصطلحات الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع عند المتقدمين تطلق غالبا على جل الفنون البلاغية حتى القرن السادس الهجري، وتكاد تكون مترادفة، وكانت مباحث البلاغة متحدة الموضوع والغاية، حاصلها البحث عن مظاهر إعجاز القرآن وأسرار بلاغة الكلام، فلما ظهر البلاغيون المتأخرون، اتجهوا بالبلاغة في وضوح إلى التقسيم والفصل بين موضوعاتها، وتعد خاصية التقسيم أبرز خصائص منهجهم، ومن مظاهرها تقسيم البلاغة إلى المعاني والبيان والبديع. ونتيجة لعوامل متعددة سيطر منهجهم في العصور المتأخرة وامتد إلى العصر الحديث، وتباينت آراء المعاصرين من هذا التقسيم الثلاثي. فمنهم من سلم به، ومنهم من انتقده ودعا إلى إلغائه، وتعددت اتجاهاتهم، ودعا بعضهم إلى إدخال علوم البلاغة في باب الأسلوب أو علم الأسلوب، وفي هذه الدعوة ما فيها. ويستهدف البحث مناقشة تلك الآراء وتقويمها في ضوء أهداف بلاغتنا وخصوصيتها من حيث كونها من علوم القرآن والعربية، وسلكت منهجا: أعرض الآراء حسب تاريخ نشرها وأحللها وأبين قيمتها وأتبعها برأيي، وانتهيت إلى نتائج أهمها رد الدعوة إلى إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة وإدخالها في غيرها؛ لأنها تؤدي إلى ذوبانها، ولما في هذا التقسيم من منهجية بما يُحققه من غاية تعليمية. هذا مع عدم التزامه في تحليل النصوص البليغة لننظر إليها نظرة شاملة تتجاوز النظرة الجزئية.

Contemporary criticism of the tripartite division of rhetoric in the curriculum of the later

Dr. Yahiya Mohammed Otief
Associate Professor-Department of Arabic
Language and Literature-Faculty of Humanities-
King Khalid University

Abstract :

Witnessed thinking rhetorical old two Mtbaintin: mainly on the first literary character Aldhuki, and know the owners of applicants, and tend to the other of a scientific background, and know the owners backward. The terms eloquence, the statement, magnificent when applicants often pronounced on the bulk of Arts rhetoric until the sixth century AH and is virtually synonymous , and the Investigation rhetoric united the subject and end sum up the search for manifestations of miracles of the Qur'aan and the secrets of eloquence of speech, when he appeared Albulagjun Late turned eloquent clarity in the division and separation between subjects and is the property of the division most prominent characteristics of their approach and manifestations of the division of rhetoric to the meanings and the statement and the Palace. As a result of multiple factors dominated their approach at later times and extended to the modern era, and the views from this modern tripartite division. Some of them recognized by, and some criticized him and called for its abolition, colorful tendencies, and some called for the introduction of science rhetoric in the door style or the science of method, in which the call between them. And to the search for the discussion of those views and assessed in the light of the objectives of the rhetoric and specificity in terms of being one of the Quranic and Arabic, and embarked on approach: introduce the consensus by date of publication, Ohllaha and show their value and I follow my opinion, and concluded the results of the most important response to the call for the abolition of tripartite division of rhetoric and entered in the other; because it will lead to melt, and because of this division is achieved by including the methodology of the very educational. With this lack of commitment in the analysis of texts to look at them eloquent overview over partial view

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فموضوع هذا البحث ((نقد المعاصرين التقسيم الثلاثي للبلاغة في منهج المتأخرين)) . وأول عهدي بالتفكير فيه يعود إلى تلك الأيام التي كنت أعد فيها رسالتي للدكتوراه ((محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين ـ دراسة تحليلية نقدية)) ، فقد تحدثت في التمهيد منها عن مدارس البحث البلاغي عند القدماء ، ومنها المدرسة العلمية الكلامية وخصائص منهجها ، ومنها التقسيم المنطقي ، وأشرت إلى أن من مظاهره تقسيم أعلام هذه المدرسة ـ الذين يعرفون في تاريخ البلاغة العربية بالبلاغيين المتأخرين ـ مباحث البلاغة وموضوعاتها إلى ثلاثة علوم : علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، وأن هذا التقسيم كان موضع انتقاد من قبل بعض البلاغيين المعاصرين ، واكتفيت حينئذ بتلك الإشارة ؛ لأن المقام لا يحتمل سواها ، وعزمت على الكتابة فيه في الوقت المناسب . ومرت الأيام ، وشغلت بعد ذلك بأعباء التدريس وأبحاث أخرى ، وفي ثنايا ذلك وقفت على آراء أخرى معاصرة في نقد ذلك التقسيم الثلاثي ، فأضفتها إلى الآراء السابقة ، ونظرت فيها فرأيتها جديرة بالدراسة في بحث مستقل ، ومن الدوافع إلى ذلك أن أغلب تلك الآراء تقرر خطأ تلك القسمة الثلاثية ، وتدعو إلى إلغاء هذا التقسيم الذي استقر عليه الدرس البلاغي منذ قرون ، وهو المنهج السائد في أغلب المدارس والمعاهد والجامعات التي تدرس مقرر البلاغة العربية في عصرنا الحديث . وتتعدد اتجاهات تلك الآراء النقدية . فمن أصحابها من يدعو إلى إلغاء ذلك التقسيم والعودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين ، ومنهم من يدعو بعد إلغائه إلى إدخال موضوعات المعاني والبيان والبديع في باب الأسلوب أو في علم الأسلوب ، وفي ذلك نظر ؛ لذلك كله تأكدت لديّ أهمية بحث هذا الموضوع ، مستهدفاً مناقشة تلك الآراء والمواقف النقدية في ضوء وظيفة البلاغة العربية وأهدافها الدينية والأدبية والنقدية ، وفي ضوء طبيعتها وخصوصيتها من حيث كونها علما من علوم القرآن الكريم ومن علوم العربية . وعلى الرغم من أهمية الموضوع لم يحظ ـ فيما أعلم ـ ببحث مستقل يبسط القول في نقد تلك المواقف . وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب قد عرض لنقد هذا التقسيم بإيجاز في كتابه « البلاغة عند السكاكي » ، وأشار بإيجاز إلى رأيين آخرين في نقده ، مغفلاً الآراء الأخرى . وقد استعنت في إعداده ببعض المصادر القديمة والمراجع الحديثة وبخاصة تلك التي أودعها أصحابها آراءهم ومواقفهم . وجعلته في مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة . تحدثت في التمهيد عن منهج البحث البلاغي عند المتأخرين ، ويتضمن نقطتين : الأولى المدرسة الأدبية ، والمدرسة الكلامية ، وخصائصهما . والثانية : تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة (التقسيم الثلاثي) . وفي المباحث الثمانية

تناولت الآراء التي وقفت عليها في نقد التقسيم الثلاثي للبلاغة في منهج المتأخرين . أبدأ بعرض الرأي وتحليله ، مبيناً دوافعه وطبيعته وغايته ، ثم أثني بنقده ومناقشته وبيان قيمته ، وختمت هذه الآراء برأيي وموقفي من هذا المنهج التقسيمي . وختمت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي انتهيت إليها .

هذا والله أسأل أن يوفقني لخدمة تراثنا البلاغي والنقدي والإسهام في الذود عنه ، وإحيائه وإضاءته ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد : منهج البحث البلاغي عند المتأخرين:

١- المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية وخصائصهما :

شهد التفكير البلاغي القديم عصرين مختلفين : تفيأت البلاغة في أحدهما ظلال الذوق وعاشت في كنفه ، وخضعت في ثانيهما لسلطان العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق وعلم الكلام . ففي العصر الأول ((نشأت البلاغة وترعرعت وأزهرت وأثمرت . وكانت عربية الروح والمنهج ، تسير على هدى الذوق . . . ترضى ما يرتضي ، وتنبذ ما ينبذ في أسلوب هو من حوك البلاغة التي تصورها ، والدرر التي تنظمها . . .)) (١) . وفي هذا العصر بلغ البحث البلاغي ذروة ازدهاره عند عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، وأعلامه يعرفون في تاريخ البلاغة العربية بالمتقدمين(٢) .

أما العصر الثاني فقد برز منذ أواخر القرن السادس الهجري على يدي فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، وأبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، وامتد إلى العصر الحديث ، وفيه شهد التأليف البلاغي ((عهدا من التلخيص والتحشية والتعليق يضطرب بين الضيق والاتساع على حسب حظ المؤلف من العلوم العقلية . . . فتعثرت البلاغة والتوت بها السبل ، وما زالت هكذا تتعثر مثقلة بما حملت من دخيل تشكو الجفاف والذبول حتى كانت النهضة الحديثة))(٣) . وأعلام هذا العصر يعرفون في تاريخ البلاغة العربية بالبلاغيين المتأخرين ، وهم أصحاب الاتجاه العلمي أو المدرسة العلمية الكلامية في دراسة البلاغة كما سيأتي .

وفي هذين العصرين نشأ التأليف البلاغي ونما وتطور في بيئات متعددة وجهته وأثرت فيه ، أبرزها بيئة

---

(١) البلاغة بين عهدين : د. محمد نايل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط/١ (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) ، ص٢١

(٢) انظر : الأمالي في علم البيان وتاريخه : علي عبدالرازق ، مطبعة مقداد ، القاهرة ، ط/١ (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، ص٦٧ ، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ (١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م)، ص ١١٤ .

(٣) البلاغة بين عهدين : ٢٢ .

اللغويين والمفسرين والمتكلمين والأدباء(٤) .

ولقد تآزرت هذه البيئات المتعددة على إيجاد مدرستين في دراسة البلاغة ، فمنهم من ((سيطرت على كتبهم النزعة الأدبية ، ومنهم من سيطرت على كتبهم النزعة العقلية الفلسفية ، وكانت نتيجة ذلك أن ظهرت مدرستان بلاغيتان هما : المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية))(٥) . أو الاتجاه الأدبي والاتجاه العلمي(٦) ، أو مدرسة الأدباء ومدرسة العلماء(٧) ، وهذا ما يكاد يجمع عليه كثير من الدارسين المعاصرين(٨) . ولكل مدرسة منهجها وخصائصها ، وأظهر خصائص المدرسة الأدبية عدم الاهتمام الكبير بالتحديد والتقسيم ، وعدم الاهتمام باقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة ، وعنايتها بالناحية الأدبية ممثلة في الاستكثار من الشواهد والنماذج الأدبية الشعرية والنثرية ، والاعتماد في دراستها على الذوق وحاسة الجمال(٩) .

أما المدرسة العلمية فهي ((المدرسة التي اتجهت إلى دراسة البلاغة دراسة علمية ، وتتمثل في الكتب التي قدمت البلاغة على أنها علم له قواعد وقوانين))[١٠] ، كمفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦هـ) وشروحه ، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني (٧٣٩هـ) وشروحه . وتمتاز هذه المدرسة ((بإصدار أحكام عقلية في المسائل البلاغية . . . واقتباس المظاهر المنطقية والفلسفية ، إما في أبحاث من هذا النوع تنقل بتمامها إلى كتب البلاغة ، وإما في أساليب تتبع وتلتزم . . . كالتزام التعريف المنطقي والتقسيم المنطقي . . . وإلى جانب هذا تختص بالجور على الناحية الأدبية في ظواهر مختلفة . منها : الإقلال من الشواهد الأدبية ، وعدم العناية بالناحية الفنية في إدراك خصائص التراكيب ، واستعمال المقاييس الحكمية خلقية أو غيرها في تقدير المعاني الأدبية))[١١] .

وتعد خاصية التقسيم المنطقي من أبرز معالم هذه المدرسة ، وتعني ((تقسيم الكلام قسمة

(٤) انظر: البلاغة عند السكاكي : د. أحمد مطلوب ، دار التضامن ، بغداد ، ط/١ (١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م) ، ص ٩٩ .
(٥) البلاغة عند السكاكي : ١٠ .
(٦) انظر : تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، د. مهدي صالح السامرائي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط/١ (١٣٩٧هـ . ١٩٧٧م) .
(٧) انظر : مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء : د. حامد صالح الربيعي ، مطابع جامعة أم القرى ، ط/١ (١٤١٦هـ. ١٩٩٦م) ، ٥٧ ، ٥٨ .
(٨) انظر : فن القول : أمين الخولي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة (١٩٤٧م) ، البلاغة عند السكاكي : ١٠١ .
(٩) انظر : فن القول : ٩٣ ، ومناهج تجديد : أمين الحولي ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط/١، (١٩٦١م) ، ٢٦٧
(١٠) مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء : ٥٨ .
(١١) فن القول : ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ .

مستوية ، تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه))[١٢] . وهي أثر من آثار الفلسفة والمنطق في دراسة البلاغة ، فقد تثقف رجال هذه المدرسة بالعلوم العقلية ثقافة واسعة ، فنضح ذلك في مؤلفاتهم البلاغية ، حيث اتجهوا إلى التقسيم والفصل بين موضوعات البلاغة ومباحثها . وقد دارت أغلب تقسيماتهم على محورين : تناول أحدهما موضوعات البلاغة فقسّمها ثلاثة علوم : علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ، وامتد الثاني إلى تقسيم الفن الواحد أو الظاهرة البلاغية الواحدة والمبالغة في بعضها كالتشبيه والاستعارة والجناس .

ويدور هذا البحث على المحور الأول . أعرض أولاً قصة التقسيم الثلاثي ، وسيطرته في العصور المتأخرة ، وأتناول ثانياً نقد المعاصرين هذا التقسيم وآراءهم فيه ، مستعيناً بالله تعالى . ٢ ـ تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة (التقسيم الثلاثي) :

كانت مصطلحات الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع في الدراسات البلاغية والنقدية عند العرب تطلق غالباً على جل الفنون البلاغية حتى القرن السادس الهجري ، وتكاد تكون مترادفة[١٣] ، وكانت مباحث البلاغة متحدة الموضوع والغاية ، تربطها وحدة واحدة هي : ((أنها متعلقة بالكلام العربي من حيث يكون بليغاً فصيحا ، وعذبا أنيقا ، وكيف يشتمل القول على المزايا والخصائص التي تكسبه إعجاب السامع واستجادته . . . وكلها راجع إلى البحث في أسرار البلاغة والفصاحة))[١٤] . فلما ظهر المتأخرون من أعلام المدرسة العلمية الكلامية على مسرح البلاغة العربية متسلحين بالعلوم العقلية اتجهوا بها إلى التقسيم والفصل بين موضوعاتها ، ومن أوائلهم الرازي ، والسكاكي الذي اتجه في وضوح بالبلاغة إلى التقسيم والفصل بين مباحثها ، ففرق بين مفهومي البلاغة والفصاحة ، وعرّف البلاغة بأنها ((بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع المجاز والكناية على

(١٢) كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تح : علي البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ ، ص ٣٥٠ .

(١٣) انظر : البديع : ابن المعتز ، نشر وتعليق كراتشوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥م ، ص٥٧ ، ٥٨ ، وكتاب الصناعتين : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وإعجاز القرآن : الباقلاني ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط/٤ ، ١٠١ ، والعمدة : ابن رشيق القيرواني ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ببيروت ، ط/٤ ، (١٩٧٢م) جـ١/٢٦٥ ، وأسرار البلاغة : عبدالقاهر الجرجاني ، تح : محمد عبدالمنعم خفاجي ، نشر مكتبة القاهرة ، ط/٣ (١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م) ، جـ١/١١٢ ، الكشاف : الزمخشري ، دار المعرفة، بيروت ، جـ٢/ ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ (١٤٠٨هـ. ١٩٢٨م) ، ص٢٥٤ .

(١٤) الأمالي في علم البيان وتاريخه : ١٤ ، ١٥ .

وجهها))[15] . وبهذا جعل البلاغة مقصورة على علمي المعاني والبيان ، محددا مباحث كل علم وغايته تحديدا دقيقا[16] . أما الفصاحة فجعلها غير لازمة للبلاغة ، وبحثها بعد انتهائه من مباحث البيان ، وبعد أن قسّمها قسمين : أحدهما يعود إلى المعنى ، والآخر يعود إلى اللفظ قال : إنها مما يكسو الكلام حلة التزيين والتحسين ، ثم يقول : وههنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام (ويقصد فنون البديع المعنوية واللفظية) فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ، وذكر سبعة وعشرين نوعا[17] . وبذلك فصل البديع عن أخويه المعاني والبيان وجعله تابعاً للبلاغة ، وتابعه رجال مدرسته كصاحب المصباح الذي بحث الفصاحة بعد انتهائه من مباحث علم البيان ، وأطلق عليها اسم علم البديع ، وحده بقوله : ((وهو معرفة توابع الفصاحة))، وعرف الفصاحة بأنها ((صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الإفهام لمعناه وتبين المراد منه ، وهي نوعان معنوية ولفظية . . .))[18] . وجاء الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بعد ذلك فلم يبحث الفصاحة بعد البيان ، ولم يدخلها في البديع ، وإنما جعل الحديث عنها مقدمة لدراسة علوم البلاغة ، وقال ـ بعد أن فرق بين مفهومي الفصاحة والبلاغة ، وذكر تعريف البلاغة المشهور ـ قال:((وقد علم بما ذكرنا أمران : أحدهما : أن كل بليغ ـ كلاما كان أو متكلما ـ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، الثاني : أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والثاني ـ أعني التمييز ـ منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف ، أو النحو ، أو يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي . وما يحترز به عن الأول ـ أعني الخطأ . . . هو علم المعاني . وما يحترز به عن الثاني ـ أعني التعقيد المعنوي ـ هو علم البيان . وما يعرف به وجوه تحسين الكلام هو علم البديع))[19] . وبذلك قسّمت موضوعات البلاغة إلى ثلاثة علوم هي : علم يتعلق بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو علم المعاني ، ويحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وعلم يتعلق بالتشبيه والمجاز والكناية ، ويحترز به عن التعقيد المعنوي ، وعلم يتعلق بتحسين الكلام ، وهو علم البديع ، ويعدونه تابعاً للبلاغة .

هذا وإذا كان البحث البلاغي قد عاش في ظلال مدرستين أو اتجاهين– كما أشرنا– فأيهما أنفع

(١٥) مفتاح العلوم : ١٩٦ .

(١٦) انظر: مفتاح العلوم : ٧٧ ، ١٥٦ وما بعدهما .

(١٧) انظر : مفتاح العلوم : ١٩٦ وما بعدها .

(١٨) المصباح : بدر الدين بن مالك ، تح : د. حسن عبدالجليل ، مكتب الآداب ، القاهرة ، (١٤٢٩هـ) ، ص ١٥٩ وما بعدها .

(١٩) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط/٥، (١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م) ، ٨٠ ، ٨٣ .

للبلاغة ، وأقدر على تحقيق أهدافها ، وأقرب إلى طبيعة الأدب ؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن أشير أولا إلى أننا نقرأ ونسمع آراء وأقوالا تدعو إلى هجر آثار المدرسة العلمية السكاكية وإهمالها ، إذ لا يرى لها أصحاب هذه الآراء نفعا ولا فائدة[٢٠] .

والحق أن هذه الدعوات قد جانبت الصواب ، وعميت أو تعامت عن الحقيقة ؛ ذلك لأن الإفراط لا يعالج بالتفريط ، فإذا كان أصحاب الاتجاه العلمي في دراسة البلاغة قد أفرطوا في بعض الجوانب نتيجة لتأثرهم بالعلوم العقلية ، فإنهم قد حفظوا أصول علم البلاغة وخفايا قواعده من الضياع والفوضى والاضطراب . فهذه القواعد والأصول التي وضعوها هي مقويات البلاغة الأصيلة للغتنا العربية وشخصيتها الأدبية ، وإذا كان الاتجاه العلمي قد أفرط في عنايته بالتقعيد والتقسيم كما سيأتي ، فإن بعض أصحاب الاتجاه الأدبي قد فرّطوا في هذا الجانب ، فنراهم يقفون عند ذكر المصطلح البلاغي أو النقدي ولا يذكرون له مفهوماً أو تعريفاً يوضح تصورهم له أو معناه عندهم[٢١] .

إذا لكل اتجاه إيجابيات وسلبيات ، أو محاسن ومساوئ . لذا فإن المنهج السديد الأمثل في دراسة البلاغة وجمال القول هو أن نجمع بين محاسن الاتجاهين ، أن نجمع بين القاعدة والذوق ، لنرضي العقل والعاطفة معا . وبذلك يستقيم النقد وترسو أصول البلاغة ، فلا نفرط في العناية بالقواعد والأصول إفراطا يشغلنا عن دراسة الأدب وتذوق النصوص ؛ ذلك لأن القاعدة البلاغية وسيلة لدراسة النص وفهمه وتذوقه وليست غاية في ذاتها . ولا ينبغي أن نهملها ؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخلط بين الظواهر الأدبية والأساليب البلاغية والانزلاق إلى ميدان الأهواء والأذواق الساذجة ، ومثل هذا يسلم إلى فوضى لا مثيل لها . وهذا المنهج هو الذي سار عليه البحث البلاغي في عصر ازدهاره عند عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ، فقد جعل من القاعدة والذوق أساسين لدراسة البلاغة وبيان إعجاز القرآن الكريم . فنراه يشير إلى أهمية وضع القواعد والأصول ، فيقول في صدر فصل يتحدث فيه عن التشبيه والتمثيل : ((إن لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء ، وتهيئة العبارة في الفروق ، فائدة لا ينكرها المميز ، ولا يخفى أن ذلك أتم للغرض وأشفى للنفس))[٢٢] . وهو مع هذا يدرك الفرق بين القاعدة في العلم والقاعدة في

(٢٠) انظر : مناهج تجديد : ص ١٧٥ ، ٢٦٦ ، وفن القول : ص١٨٩ ، ١٩٥ ، والنقد المنهجي عند العرب: د.محمد مندور ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة (١٩٧٢م) ، ص ٣٢٣ .

(٢١) انظر : البديع : ٢ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ .

(٢٢) أسرار البلاغة : ١٨/٢ . انظر : دلائل الإعجاز : ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

الفن[٢٣] ، ولم تكن عنايته بالقواعد فحسب كما فعل أغلب المتأخرين ، وإنما اتخذ من الذوق المثقف والحس الفني مقياسا مهما ، فحينما يعلق على النصوص أو يحللها يركن إليه في إدراك البلاغة والوقوف على أسرار الجمال من مثل قوله في سياق كلامه عن الاستعارة والتخييل معلقاً على قول ابن طباطبا العلوي :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرأ زراره على القمر

((وهذا موضع في غاية اللطف ، لا يبين إلا إذا كان المتصفح للكلام حساسا يعرف وحي طبع الشعر ، وخفيَّ حركته ، التي هي كالخلْس ، وكمسرى النفس في النفس))[٢٤] . ومثل هذه الأقوال ترد كثيراً في كتابي عبدالقاهر ، ولا يقف عند هذا الحد فنراه يعقد في خاتمة « الدلائل » فصلا للذوق يبين فيه أن العمدة في إدراك البلاغة الذوق والإحساس الروحاني ، وأن من عدم هذه الحاسة ذهب عنه إدراك البلاغة[٢٥] .

هذا وإذا كان البحث البلاغي في عصر ازدهاره قد جمع بين القاعدة والذوق في دراسة البلاغة –كما أشرت آنفا– فإن هذا الاتجاه لم يحظ بعده بمن يتابع طريقته ويعمق نظراته ويسير على نهجه ـ إذا ما استثنينا الزمخشري ـ فقد اتجه البحث البلاغي بعده نحو الجمود بعوامل متعددة منها : جمود الحركة الأدبية في العصور المتأخرة ، وسريان ذلك الجمود إلى البحوث البلاغية والنقدية وخضوعها لسلطان الفلسفة والمنطق[٢٦]. فتحولت البلاغة على أيدي السكاكي ومدرسته إلى قواعد جافة وأغفلت جانب الذوق أو كادت[٢٧] ؛ ولذلك فقد سيطر منهج المتأخرين ذو التقسيم الثلاثي على البحث البلاغي في عصوره المتأخرة ، على الرغم من إشارات بعض المتأخرين إلى الخلاف بين البلاغيين في تسمية العلوم الثلاثة ، وفي تعريفاتها ، وتداخل مباحثها[٢٨] .

نقد المعاصرين التقسيم الثلاثي للبلاغة:

---

(٢٣) انظر : دلائل الإعجاز ، : ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، والأسرار : جـ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٢٤) أسرار البلاغة : ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٢٥) انظر : دلائل الإعجاز : ص ٤١٩ وما بعدها ، وانظر: المصدر نفسه : ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٢٦) انظر : البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط/٥ ، ٢٧٢ .

(٢٧) انظر : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده : محمد خلف الله أحمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٦٦هـ. ١٩٤٧م) ، ص١ .

(٢٨) انظر : الإيضاح، الخطيب القزويني ، تح: د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني، ط/٥ ، (١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م) ، جـ٨٣/١ ، وشروح التلخيص ، التفتازاني والسبكي والمغربي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة (١٩٣٧م) ، جـ٢٨٤/٤ .

ظل التأليف البلاغي عند علماء البلاغة المتأخرين يدور غالباً في دائرة مفتاح العلوم وشروحه وتلخيص المفتاح وشروحه، حتى أطل فجر النهضة الأدبية الحديثة على أمتنا العربية الإسلامية بأسباب وعوامل متعددة، منها التعليم وإنشاء المدارس والجامعات ، والطباعة ، والاتصال بالحضارة والآداب الغربية بأسباب متعددة، منها البعثات العلمية والترجمة التي كانت سبباً في اطلاع العرب على مناهج البحث وطرق التأليف عند الغربيين(٢٩) . ونشطت في هذا العصر الحياة العلمية والأدبية ، وكان لكليات وأقسام اللغة العربية والآداب بالجامعات العربية أثر في إخراج باحثين متخصصين أثروا المكتبة العربية بكثير من المؤلفات البلاغية والنقدية . والناظر في هذه المؤلفات يجدها تتجه اتجاهين :

أحدهما يلتزم منهجهم وتقسيمهم الثلاثي المشهور . وهذا هو الاتجاه الغالب، ويمثله كثير من الدراسات والكتب الجامعية والمدرسية(٣٠) .

والاتجاه الآخر يحاول أصحابه التجديد في جوانب من تلك الصورة التي انتهى إليها المتأخرون في دراسة البلاغة بتهذيبها ونقدها والإضافة إليها ، ومن الجوانب المنهجية التي وقفوا عندها التقسيم الثلاثي . وقد ساعدهم عاملان: الأول:إحياء كتب التراث البلاغي في عصورها الزاهرة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفي مقدمتها كتابا»أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز» مما مكّن الدارسين من المقارنة بين منهج المتقدمين كعبد القاهر ، ومنهج المتأخرين من أعلام المدرسة العلمية الكلامية المنطقية السكاكية ومن ملاحظة الفرق بين المنهجين مما دعا بعضهم إلى نقد جوانب من هذا المنهج ومنها التقسيم الثلاثي ، وإلى

---

(٢٩) انظر : تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة ، بيروت ، ط/٢٨ (١٩٧٨م) ، ص٤٧٨ وما بعدها ، والرمزية في الأدب العربي ، د/ درويش الجندي ، دار نهضة مصر، القاهرة، ٣٦٦ وما بعدها، والقزويني وشروح التلخيص : ص ٦١٠ .

(٣٠) منها :

- زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع . أحمد الحملاوي .
- كتاب علوم البلاغة . المراغي - البلاغة الواضحة. علي الجارم ومصطفى أمين .
- جواهر البلاغة . أحمد الهاشمي . - علم البيان . د. بدوي طبانة .
- علم المعاني . د. درويش الجندي . - علم المعاني . د. عبدالعزيز عتيق .
- علم البيان . د. عبدالعزيز عتيق . - علم المعاني . د. عبدالعزيز عتيق .
- البلاغة في ثوبها الجديد (علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع) د. بكري شيخ أمين .

أن ينادوا بالعودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين ، ويعد الشيخ الإمام محمد عبده رائدا في هذا المجال[٣١].

والثاني : اتصال بعض الباحثين العرب المعاصرين بالثقافة والآداب الأوربية الحديثة ، واطلاعهم على بعض دراسات المحدثين الغربيين في البلاغة وعلم الأسلوب مما دفع بعضهم إلى الموازنة بين البلاغتين : العربية والغربية وملاحظة ما بينهما من فروق ، ومنها ضيق دائرة البلاغة العربية في صيغتها النهاية عند المتأخرين ذات القسمة الثلاثية ، فدفعهم ذلك إلى وضع مناهج وصيغ جديدة ، تتسع فيها دائرة البحث البلاغي ، وفي هذا السياق نادوا بآراء ، منها إلغاء التقسيم الثلاثي ، ويعد الأستاذ أمين الخولي رائدا في هذا المجال .

وفيما يأتي دراسة لأهم مواقف المعاصرين من ذلك التقسيم الثلاثي وآرائهم واتجاهاتهم ، مرتبة حسب تاريخ نشرها .

المبحث الأول : رأي علي عبدالرازق[٣٢] .

كان الأستاذ « علي عبدالرازق » من أوائل من أشار من المحدثين المعاصرين إلى ما في منهج المتأخرين من تضييق لبحوث البلاغة ، وحصر لمسائلها يؤدي إلى الجمود ، وذلك في كتابه « الأمالي في علم البيان وتأريخه» ، والذي يُعد من أوائل الدراسات البلاغية الحديثة التي استجابت ـ على مستوى التأليف ـ لدعوة الشيخ « محمد عبده » إلى العودة بالدراسات البلاغية إلى منهج المتقدمين . فقد انتقد جوانب من منهج المتأخرين ، ووازن بينه وبين منهج المتقدمين ، مفضلا له على منهج المتأخرين ، ومنها ما يتصل بتقسيم السكاكي للبلاغة إلى معان وبيان ومحسنات . يقول مشيرا إلى وحدة مباحث البلاغة عند المتقدمين ، وما ابتدعه السكاكي من ترتيب جديد لمباحثها ، ممثلا في تقسيمها والفصل بينها . ((جاء السكاكي من بعد عبدالقاهر وقد تمهدت قواعد البلاغة تمهيدا . . . وانحصرت أصولها وفروعها . . . واتضحت مباحث المعاني والبيان ، وعرفت أبواب كل منهما . إلا أنها كانت مجموعة في سمط واحد . وتحت موضوع واحد كما في كتب عبدالقاهر ومن حذا حذوه من المتقدمين . فاخترع السكاكي ترتيباً جديدا بين هذه المباحث ، فجمع منها ما كان متعلقاً بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وسماه علم المعاني ،

(٣١) انظر : مقدمة أسرار البلاغة للأستاذ محمد رشيد رضا ، والقزويني وشروح التلخيص ، ص٦١١ ، ٦١٢ ؛ وأحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي ، د. محمد رجب البيومي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/١ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) ، ص٢٥ .

(٣٢) هو الشيخ علي عبدالرازق ، أحد علماء الأزهر ، وصاحب كتاب « الأمالي في علم البيان وتأريخه » ، صدر في طبعته الأولى بالقاهرة عام (١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م) .

وما كان متعلقاً بإبراز المعنى الواحد في طرق مختلفة وسماه علم البيان . . .))[٣٣] ، ثم يفسر منهج السكاكي فيرده إلى الفلسفة والمنطق ((الإمام السكاكي نظر إلى مباحث علم البلاغة نظرة فلسفية جمعت طرفيها ، وأحاطت بها ، وقسمتها تقسيما حاصرا ، وحددها حتى تمتاز عن غيرها امتيازا تاما . وذلك أنه وجد المتقدمين قد تركوا مباحث هذا العلم مفتحة الأبواب عامة الموضوع ، إذ كان كل بحث يتعلق بأسرار بلاغة الكلام وحسنه يجوز أن يضاف إلى هذا الفن ، ويزاد عليه . . .))[٣٤] ، ويوضح هدف السكاكي الأهم فيرده إلى الحصر العقلي . يقول عن علم البيان : ((بعد أن تم للسكاكي ما أراد من بيان نسبة علوم البلاغة إلى غيرها ، ومن تحديد العلاقة بين علمي المعاني والبيان بقي عليه أن يحدد أبواب علم البيان تحديدا منطقيا ويحصرها ـ على طريقته ـ حصرا عقليا ، وذلك هو غرضه الأهم ومقصده الأعلى ، حتى لا يبقى محل للزيادة عليها أو الاختصار منها))[٣٥] . ويبين دوافع نظرة السكاكي العقلية فيردها إلى خوفه ((على علم البلاغة من ذلك الإطلاق الذي يجعل الحرية فيه فوضى يوما من الأيام ، فنظر إلى هذا العلم نظرة فلسفية . تحدد ما بينه وبين سائر علوم الأدب من النسبة والارتباط ، وتميزه عنها امتيازا تاما ، وتحصر أبوابه ومباحثه حصرا عقليا . حتى لا يبقى محل للخوف عليه من دعي دخيل))[٣٦] . وينتقد الأساس الذي قام عليه هذا التقسيم ، وهو تفريق السكاكي بين مصطلحي البلاغة والفصاحة الذي أشرت إليه فيما قبل ، فيقول : ((وقد وقع له في أثناء ذلك كلام في معنى فصاحة الكلام وبلاغته . ذهب فيه مذهب التفريق بين المعنيين وجاء لكل منهما بتفصيلات وتنويعات . لا تتفق مع مذهب عبدالقاهر ، ولم نر غيره يوافقه عليها . ولم نعرف له مستنداً فيها . . .))[٣٧] . وينتقد تعريف علم البيان عند السكاكي ووظيفته ، وأنه لم يدر بخلد المتقدمين يقول : ((إننا لا ندرك وجها للقول بأن علم البيان باحث عن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . فإننا نعتقد أن هذا المعنى لم يكن يجول بأذهان المتقدمين الذين وضعوا قواعد الفن وهذبوها وضبطوها من قبل أن يكون السكاكي ، ويكون تحقيقه هذا . وما كان عبدالقاهر والذين قبله يفهمون في المجاز والكناية والتشبيه أنها طرق من الكلام مختلفة في تأدية المعنى الواحد . ولئن فهموا ذلك وأدركوه فما هو بشيء ذي بال يدعو إلى البحث عنها والتأليف فيها ، ومعاناة استخراج قواعدها وضوابطها وشواهدها . ولكنهم حين توجهوا إلى البحث في هذه الأبواب كانوا ـ لا غير ـ باحثين عن

(٣٣) الأمالي في علم البيان وتأريخه : مطبعة مقداد ، القاهرة ، ط/١ ، (١٣٣٠هـ. ١٩١٢م) ، ص٢٧ .
(٣٤) الأمالي : ٦١ .
(٣٥) الأمالي : ٦٦ ، ٦٧ .
(٣٦) الأمالي : ٦١ .
(٣٧) الأمالي : ٦٦ .

أسرار بلاغة الكلام ودلائل إعجاز القرآن ، وليس عن طرق التأدية المختلفة كما يرى السكاكي رحمه الله تعالى))[٣٨] .

ويوازن بين المنهجين مفضلاً منهج المتقدمين ونظرتهم إلى موضوعات البلاغة، ومشيراً إلى ما في منهج المتأخرين من تضييق لبحث البلاغة وحصر لمسائلها يؤدي إلى الجمود[٣٩] . ذلك رأي صاحب الأمالي الذي يُعد أول من انتقد هذا التقسيم من المعاصرين فيما نعلم ، ويتلخص في أنه يفضل منهج المتقدمين التحليلي الفني ممثلا في كتابي عبدالقاهر الجرجاني على منهج المتأخرين التقنيني المنطقي ممثلا في مفتاح العلوم للسكاكي، لما فيه من تضييق لبحوث البلاغة وحصر لمسائلها وفصل بينها ، ويبين دوافع نظرة السكاكي العقلية المنطقية فيردها إلى الخوف على البلاغة من الأدعياء والدخلاء ، وينتقد الأسس التي بنى عليها السكاكي تقسيم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات ، ممثلة في التفريق بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة ، وتعريف علم البيان ووظيفته وينفي صحة ذلك؛لأنه لا وجود له عند المتقدمين كعبدالقاهر وغيره. وأقول إن مجرد اختلاف منهج السكاكي عن منهج المتقدمين وأنهم لم يعرفوا ذلك التقسيم، لا ينهض دليلا قاطعا على فساد منهج السكاكي وتقسيمه؛لأن العلم ينمو ويتطور ، وقد قيل : كم ترك الأول للآخر. هذا وقد أشار بعض المتقدمين كأبي هلال إلى رأي آخر في التفريق بين مصطلحي الفصاحة والبلاغة[٤٠]. وعلى الرغم مما ذكره صاحب الأمالي، فإنه لم يقف طويلا عند نقد هذه الخاصية المنهجية؛لأن بحثه كان منصباً على علم البيان وتأريخه، ولم يعرض تصوراً أو منهجا جديدا بديلا كغيره ممن سيأتي الحديث عنهم.

المبحث الثاني : رأي أمين الخولي[٤١]

كان ما أشار إليه صاحب الأمالي دافعا للباحثين للنظر في هذه القضية نظرة أكثر تفصيلا وعمقا ، ومن

---

(٣٨) الأمالي : ٦٧ ، ٦٨ .

(٣٩) انظر : الأمالي ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤٠) انظر : كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تح : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١ (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٤١) كاتب مصري . تخرج من مدرسة القضاء الشرعي سنة (١٩٢٠م) ، ودرس فيها ، وقضى سنوات بين روما وبرلين إماما للمفوضية المصرية يتفقه في اللغتين الإيطالية والألمانية مما مكنه الإلمام بأفكار الغربيين في البلاغة والأسلوب ومقارنتها بالبلاغة العربية، ثم نقل إلى كلية الآداب مدرسا فأستاذا ، وهو شيخ جماعة الأمناء ورئيس تحرير مجلتهم الأدب التي صدرت سنة (١٩٥٦م) ، ومن مؤلفاته مناهج تجديد ، فن القول ، وتوفي سنة (١٩٦٦م) . انظر : (البيان العربي : بدوي طبانة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ط/٦ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦) .

أوائلهم الأستاذ أمين الخولي . ويأتي رأيه في سياق دعوته إلى تجديد البحث البلاغي[٤٢] . ففي بحثه ((البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها)) الذي كتبه عام (١٩٣١م) أشار فيه إلى أثر المنطق في تضييق دائرة البلاغة . وحينما كتب مادة البلاغة في الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية عام (١٩٣٨م) أكد ما أشار إليه في بحثه السابق من ضيق دائرة البلاغة عند المتأخرين ، واقتصارها على الألفاظ من حيث أداؤها للمعاني الجزئية بالجملة الواحدة أو الجمل المتصلة في معنى واحد ، ورأى أن التقسيم الثلاثي للبلاغة لا صحة له ولا فائدة فيه ، ويقترح تقسيماً آخر ، تتسع فيه دائرة البلاغة . يقول : ((وإذا اتسع البحث البلاغي فشمل مع الألفاظ المعاني جزئية وكلية ، وشمل مع الجملة اللفظة المفردة ، ثم جاوزهما إلى الفقر ، والقطع الأدبية ، والأساليب ، فقد صار التقسيم القديم للبلاغة إلى المعاني والبيان والبديع لا أساس له ولا غناء فيه ؛ ولزم أن يوضع التقسيم على أساس غير الأول : كأن نقتصر على كلمة البلاغة وصفا لجمال الكلمة والكلام ، ونوفر كلمة الفصاحة ، ونقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني ، وفي بلاغة الألفاظ نبحث عنها من حيث إن تلك الألفاظ أصوات ذات جرس ، ثم من حيث هي دوال على المعاني مفهمة لها ، ونبحث ذلك في المفرد والجملة والفقرة والقطعة ، وتقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي إلى دراسة فنون القول الأدبي المنظوم والمنثور فنا فنا ، وما به قوام كل فن وحسنه ، متخطين الفنون القديمة من المقامة والرسالة والخطبة إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة على اختلاف أنواعها))[٤٣] .

وينتقد د. سعد مصلوح ما اقترحه الخولي هنا من منهج بديل لغموضه وصعوبة تطبيقه على النصوص ، ويفضل عليه التقسيم الثلاثي القديم لوضوحه وسهولته . يقول : ((وعندي أن قسمة البلاغة إلى بلاغة ألفاظ وبلاغة معان هي أمر من الصعوبة بمكان في دراسة النص الأدبي ، ولا أدل على ذلك من أن الخولي نفسه يضع تحت دراسة بلاغة الألفاظ دراستها من حيث هي دوال على المعاني مفهمة لها ، وهي عبارة تنفي إمكان الثنائية التي اقترحها ، وعندي أيضاً أن القسمة الثلاثية ـ على ما فيها من عيوب ـ أوضح للفكر ، وأطوع لمباشرة النصوص من قسمة تعيد ثنائية اللفظ والمعنى في الدرس الأدبي جَذْعَة بعدما توارت في الحجاب))[٤٤] .

---

(٤٢) قمت بدراسة هذه التجربة في رسالتي للدكتوراه « محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين ـ دراسة تحليلية نقدية « ويعنيني هنا ما يتصل بموضوع هذا البحث .

(٤٣) مناهج تجديد : ٢٦٧ .

(٤٤) قراءة جديدة لتراثنا النقدي : نادي جدة الأدبي الثقافي ، ع/٢٩ ، (١٤١٠هـ. ١٩٩٠م) ، جـ/٢ ، ٨٣٦ .

هذا ويشيد الباحث بعد ذلك بدعوة الخولي إلى مجاوزة البحث البلاغي مستوى الجملة إلى ما بعدها ، ويعجب من أنها لم تجد لها صدى على مستوى التطبيق ((وكانت هذه الفكرة حرية ، إذا وجدت من يتابعها من اللسانيين والبلاغيين ، أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية ، تنتقل به من نحو الجملة وبلاغة الجملة إلى نحو النص وبلاغة النص . . .))[٤٥] .

وفي كتابه « فن القول »[٤٦] تصل دعوة الخولي التجديدية للبلاغة صورتها التامة ويصل رأيه في التقسيم الثلاثي إلى غايته ، ويعنيني هنا ما يتصل منها بموضوع هذا البحث . ففي الفصل الثاني من هذا الكتاب وازن بين دائرة بحث البلاغة العربية في صورتها التي انتهت إليها عند المتأخرين ممثلة في «التلخيص وشروحه » ، وبين البلاغة الحديثة أو الأسلوب عند بعض المحدثين ، الأوربيين ممثلة في كتاب الأسلوب الإيطالي للباريني[٤٧] . وينتهي من موازنته إلى القول بأن بلاغة المدرسة الكلامية السكاكية ((قد ضاقت دائرة بحثها عن أشياء كثيرة هامة اتسعت لها دائرة البحث عند المحدثين فقد وقفت بلاغتنا عند بحث الجملة ، وأهملت بحث المعاني الأدبية ولم تنظر إلى العمل الأدبي بجملته ، ولم تعن بالنظر في الفنون القولية . . . فهي في حاجة إلى سعة شاملة ، لتستطيع الوفاء بمثل تلك الأبحاث وما يتصل بها مما هو ضروري لدقة الدرس ، ومسايرته درجة التقدم الإنساني))[٤٨] . وسنناقش قوله : إن بلاغتنا أهملت المعاني فيما بعد ، وإكمالاً للنقص الذي لاحظه في دائرة البلاغة القديمة ، وتوسيعاً لها يشرع في عرض أفكاره فينادي بآراء منها : ((إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة))[٤٩] ، ويبنى هذا الرأي على أسباب وأدلة في القديم وفي الحديث . أما في القديم ، فيستدل بقول السبكي ((والحق الذي لا ينازع فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه تطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، ومن الإيراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين ، وأول برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون لاشتماله على التطبيق ، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والإيراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان . هذا

(٤٥) قراءة جديدة لتراثنا النقدي : ٨٣٩ ، ٨٤٠ .

(٤٦) مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ط/١ (١٩٤٧م) .

(٤٧) يقول عنه د. شكري عياد : ((وهو كتاب غير معروف لدينا ، ولكننا نستخلص مما عرضه أستاذنا أمين الخولي أنه نوع من التحديث للبلاغة الأوربية القديمة في ضوء المفاهيم الرومنسية)) انظر : (مجلة فصول ، جـ١ ، ع٢ ، ص٥٤) .

(٤٨) فن القول : ١٨٣ .

(٤٩) فن القول : ١٨٥ ، ١٨٦ .

هو الإنصاف وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين))[٥٠] .

وأما في الحديث فيستدل على إلغاء هذا التقسيم الثلاثي للبلاغة بما هو عند المحدثين من ضرورة إدخال أبحاث المقدمة (الكلمة) في المقاصد باعتبار الكلمة عنصرا جوهريا في الأسلوب وفن القول[٥١] .

فالأستاذ الخولي لا يرى أساسا ولا فائدة لهذا التقسيم ، معللا رأيه بما سبقت الإشارة إليه . ولا يقف عند هذا الحد ، بل يؤكد رأيه السابق فيدعو إلى توسعة دائرة البحث البلاغي القديم لتشمل أبحاثا بلاغية جديدة منها البحث في الأسلوب ، والبحث في فنون القول الأدبي ، ويقوم برسم دائرة جديدة للبلاغة أو فن القول ـ كما يسميها ـ يراعي فيها مراحل الإبداع الأدبي أو خطوات الأديب الثلاث : الإيجاد والترتيب والتعبير ، وهذه الدائرة الجديدة تنتظم ما يأتي :

١ – المبادئ : وتتناول التعريف بفن القول ، وبيان موضوعه وغايته ، وصلته بغيره من الدراسات الأدبية : الأدب والنقد الأدبي وتاريخ الأدب .

٢– المقدمات : وهي مقتبسات من دراسات أخرى ، تؤيد هذا الدرس ، وتنير سبيله ، منها المقدمة الفنية والمقدمة النفسية .

٣ – الأبحاث : وهي لب الدرس ، وصميمه ، وتدور على اعتبارات فنية من طبيعة العمل الأدبي ، فتبحث الألفاظ والمعاني ، لأنهما عنصر العمل الأدبي ، وتبحث عن الكلمة فالجملة فالفقرة فالصورة البيانية ، فالقطعة الأدبية ، فالأساليب ، ففنون النثر والشعر))[٥٢] .

تلك هي الدائرة الجديدة التي رسمها الأستاذ الخولي ، وهي تمثل خطة البلاغة أو فن القول في صورتها الأخيرة التي انتهى إليها تفكيره ، وهي امتداد وتطوير للدائرة التي اقترحها قبل ذلك وأشرنا إليه آنفا ، وفيها تتسع دائرة البحث البلاغي فتتجاوز مستوى الجملة إلى ما وراء الجملة في القطعة والنص ، وتشمل أبحاثا جديدة منها البحث في الأسلوب والبحث في فنون القول الأدبي ، وهي تلغي بالضرورة القسمة الثلاثية ، ووقف عند رسم المنهج ولم يتجاوزه إلى التطبيق ، وعلى الرغم من أهمية هذه الدائرة وسعتها وشمولها[٥٣] ، فلا أستحسن أن تكون بديلا عن البلاغة القديمة ممثلة في علومها الثلاثة المعاني

(٥٠) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة (١٩٣٧م) ، جـ٤/٢٨٤ .

(٥١) انظر : فن القول ، ص ١٨٦ .

(٥٢) فن القول : ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٥٣) انظر في نقد هذه التجربة ورأينا فيها « محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين . دراسة تحليلية نقدية « ، رسالة دكتوراه ، مكتبة كلية اللغة العربية بالرياض ، جامعة الإمام، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م ، ج٢ ٤٤٧ . ٤٥٨ .

والبيان والبديع بحيث تلغيها وتحل محلها ، وأرى أن تكون امتدادا لها، أو وجها آخر لها على ما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

المبحث الثالث : رأي الشايب(٥٤)

ويلاحظ الأستاذ أحمد الشايب ما لاحظه الأستاذ الخولي من ضيق دائرة مباحث علم البلاغة العربية في صورتها الأخيرة التي انتهت إليها عند المتأخرين المتمثلة في القسمة الثلاثية ، ومع اعترافه بأهمية هذه الدراسة وخطرها، يرى أنها تضيق عن استيعاب أصول البلاغة وميادين البحث البلاغي– كما يجب أن يكون– لتخدم الأدب الإنشائي وتساير تطوره في أساليبه وفنونه . فموضوع البلاغة في نظره أعم وأشمل مما انتهت إليه مباحثها عند المتأخرين التي لا تخرج في جملتها عن الجملة والصورة الجزئية(٥٥) . ويوازن بين أبحاث البلاغة في صورتها عند المتأخرين وبين موضوعها كما يجب أن يكون ، ويقرر نتائج منها :

((أن شطرا من الأسلوب قد درس تحت عنوان المعاني والبيان والبديع ، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق ، ولا حاجة بنا الآن إلى هذه الأسماء التي تسمى علوما خاصة لأنها فصول بلاغية يسيرة))(٥٦) .

وتحقيقاً لنتائج هذه المقارنة يضع الشايب المنهج الجديد لعلم البلاغة . فيقول ((إن علم البلاغة وموضوعها يدخل وينحصر في بابين أو كتابين :

الأول: باب الأسلوب أو كتابه، ويتناول دراسة الحروف والكلمات والجمل والصور والفقرات والعبارات ، على أن تدرس درسا مفصلا دقيقا . . . وفي هذا الباب أو الكتاب تدخل موضوعات المعاني والبيان والبديع لا على أنها علوم مستقلة ، بل على أنها فصول في باب الأسلوب ، يتناول بحوثها كما يتناول غيرها . فعلم المعاني يدخل في بحث الجملة ، وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة . . . أما الباب الثاني فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعرا ونثرا . . .))(٥٧) . ولم يقف عند رسم الخطة ووضع المنهج ، بل درس موضوعاته في كتاب الأسلوب الذي ظهرت طبعته الأولى في عام ١٩٣٩م ، ودرّسه في كليتي الآداب ودار العلوم بجامعة القاهرة . وقد قمت بدراسة هذه التجربة دراسة تحليلية نقدية

(٥٤) أستاذ جامعي مصري معاصر ، متخصص في الأدب والنقد ، له مؤلفات قيمة منها : الأسلوب ، أصول النقد الأدبي ، تاريخ النقائض في الشعر العربي . انظر : (البيان العربي: د. بدوي طبانة ص ٤١١ ، والصراع بين القديم والحديث : جـ٢/١٢٥٣) .

(٥٥) انظر : الأسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٦ (١٩٦٦م) ص٣ .

(٥٦) الأسلوب : ٣٨ .

(٥٧) الأسلوب : ٣ ، ٤ ، ٣٧ .

وخصصت لها فصلاً في رسالتي للدكتوراه[٥٨] . ويعنيني هنا ما يتصل بموضوع هذا البحث . فقد سبقت الإشارة إلى أنه يدخل موضوعات المعاني والبيان والبديع في باب الأسلوب لا على أنها علوم مستقلة، بل على أنها فصول فيه يدخل المعاني في بحث الجملة، ويدخل البيان والبديع في بحث الصورة الجزئية . وعلى الرغم من أهمية هذا المنهج الجديد الذي اقترحه لعلم البلاغة وسمو غايته وسعته وأصالته[٥٩] ، على الرغم من ذلك فإن الأفضل –في نظرنا– أن يكون هذا المنهج وما شابهه امتدادا للبلاغة القديمة ووجهاً من وجوهها على ما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

المبحث الرابع : رأي المراغي[٦٠]

وكتب الشيخ المراغي فصلاً في كتابه ((تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها)) ناقش فيه منهج السكاكي وتقسيمه لموضوعات البلاغة، وبنى نقاشه على أساس أنه ((لا يرى وجها صحيحا لهذا التقسيم، ولا مستندا من رواية ولا دراية))[٦١] . ثم ذكر تعريفات العلوم الثلاثة كما ذكرها الخطيب القزويني في الإيضاح وناقشها، لينتهي من ذلك إلى إبطال القسمة الثلاثية من جهتي الرواية والدراية . أما من جهة الرواية فيستدل بأن المتقدمين كأبي هلال وابن سنان وعبدالقاهر لم يعرفوا هذا التقسيم ، وأن مصطلحي البيان والبديع وردا عند الزمخشري وابن المعتز وقدامة وابن رشيق بمعان متداخلة ، فأطلق البديع وأريد به ما يشمل البيان ، وأطلق البيان وأريد به ما يعم البديع بحسب تقسيم السكاكي[٦٢] . والمراغي يتفق مع صاحب الأمالي في هذه الحجة على إبطال القسمة الثلاثية ، ويرد الدكتور أحمد مطلوب هذه الحجة نافيا أن تقوم دليلا على فساد منهج السكاكي ((فالرواية في بيان فساد منهج السكاكي ليست دليلا وحجة . . . لأن العقلية البشرية في تطور ، ولأن العلم في تقدم ، ولئن كان (المتقدمون) من أساطين البلاغة قد ساروا على منهج يختلف عن منهج السكاكي فليس معنى هذا أن عمل الأخير لا قيمة له ، وأن منهجه غير مستقيم))[٦٣] . وهو عين ما قلناه آنفا في رد حجة صاحب الأمالي .

---

(٥٨) انظر : محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين : جـ٢/٤٦٠ . ٥٤٦ .

(٥٩) انظر في قيمة هذه التجربة ورأينا فيها المرجع نفسه : ج٢/٥٣٧ . ٥٤٦ .

(٦٠) هو أحمد مصطفى المراغي ، أستاذ الشريعة واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً ، من مؤلفاته تفسير القرآن المسمى (تفسير المراغي) ، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، علوم البلاغة . انظر : تاريخ علوم البلاغة ... ص٢١٩ ، ٢٢٠ ، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ، ط/١ (١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) .

(٦١) تاريخ علوم البلاغة : ص ١١١ .

(٦٢) انظر : تاريخ علوم البلاغة :ص ١١٤ . ١١٥ .

(٦٣) البلاغة عند السكاكي : ص ١٢٥ .

وينتقل المراغي إلى الدراية ، فيقدم لإثبات بطلان التقسيم من جهتها أسبابا تتلخص في ثلاث نقاط :

١ . أن الثمرة المستفادة من علم المعاني ، وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال تستفاد أيضاً من علم البيان والبديع ، لأننا لا نعبر باستعارة ولا كناية إلا إذا اقتضاها المقام . . .

٢ . وكما يصدق هذا على المعاني والبيان ، يصدق على البديع ، فالجمال الذي يوجد في التورية من حيث دقة التعبير ولطفه لا يقل عن الجمال الذي يوجد في الكناية ، والإبداع الذي يوجد في الطباق والتقسيم ليس بأقل مما يوجد في الاستعارة . ويستند المراغي في هذا على المتقدمين كابن المعتز إذ جعل من أنواع البديع الاستعارة والكناية ، وسار على أثره قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وابن رشيق .

ويستفهم بعد ذلك قائلاً : ((فمن أين أتى السكاكي بهذا التفاوت وجعل بعضا منها فيما سماه البيان ، وبعضا فيما سماه البديع ، وبعضا منها تحسينه ذاتي ، وبعضا منها تحسينه عرضي؟ وإنا لنعلم أن من كان قبله ليس بأقل منه رسوخا في نقد الكلام ، وبيان غثه من سمينه ، وجيده من رديئه ، فكيف خفي هذا على جلة العلماء مدى القرون الطوال فجاء السكاكي وكشفه ؟ اللهم إنا لا نجد وجها لصحة هذا الكشف الجديد ، ولو كنا وجدناه لما شككنا في صحته ، إذ لسنا من القائلين بتلك النظرية : ((ما ترك الأول للآخر شيئا))[٦٤]

٣ . تداخل المباحث في هذه العلوم عند بعض المؤلفين ، ولو كانت الحدود واضحة لامتنع ذلك . يقول المراغي : ((إن مما يدل على أن مباحث هذه العلوم ليست متمايزة ، أن بعض المؤلفين أدخل المجاز العقلي في علم البيان ، بينما غيرهم أدخله في علم المعاني ، وكذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس والاعتراض والحشو في البديع ، وأدمجه غيرهم في المعاني وجعلوه أقساما للإطناب ، فلو كانت هناك حدود واضحة تميز قسما من قسم لما جاء هذا الاختلاط والارتباك في تفريغ هذه المسائل ووضعها في المواضع المناسبة لها))[٦٥] .

ويناقش الدكتور أحمد مطلوب رأي المراغي في شقه الثاني فيصفه بالصحة والدقة في كثير منه والعمق وسعة الاطلاع ويورد عليه ملاحظات تتلخص فيما يأتي[٦٦] :

---

(٦٤) تاريخ علوم البلاغة : ص ١١٥ .

(٦٥) انظر : تاريخ علوم البلاغة : ص ١١٥ . ١١٨ .

(٦٦) انظر : البلاغة عند السكاكي : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

١. النقطة الأولى من اعتراضه لا يمكن الأخذ بها كلها لأن السكاكي أشار إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال في البيان أيضا ، فمطابقة الكلام موجودة في تعريفه للمعاني والبيان . . ولعل الأستاذ المراغي نظر إلى هذا التقسيم من خلال تعريف الخطيب القزويني لعلمي المعاني والبيان ، لأنه عرض قبل مناقشة السكاكي كلام صاحب الإيضاح ، والفرق واضح بين الكلامين وبذلك يتضح أنه ليس من الدقة أن ينقد السكاكي على أساس تعريف الخطيب القزويني .

٢. أما النقطة الثانية ، فإن السكاكي لم يكن واضح المنهج فيها ، فهو يسمي البديع محسنات أو وجوها مخصوصة يؤتى بها لقصد تحسين الكلام ، ويرى أن هذه الوجوه يجب أن تكون الألفاظ فيها توابع للمعاني لا أن تكون المعاني توابع لها ، ولم يفصل المحسنات عن القسمين الآخرين ، فكثيرا ما يدخل أنواعا من المحسنات في علم المعاني كالإلتفات والقلب وأسلوب الحكيم وتقليل اللفظ ولا تقليله ، وما دام السكاكي قد صنع هذا الصنيع ، فلا يمكن الجزم بأنه لا يقصد من وراء المحسنات مطابقة لمقتضى الحال وللمعنى .

٣. أما النقطة الثالثة المتعلقة بتداخل المباحث البلاغية بين الأقسام ، فيسلم الباحث بها للأستاذ المراغي[٦٧] . ويرى الدكتور سعد مصلوح أن التداخل هو اختلاف في التفاصيل لا يصح أن يحتج به لإبطال القسمة من أساسها[٦٨] .

هذا ولا يقف المراغي عند حد النقد والمناقشة بل يتجاوز ذلك إلى عرض منهج بديل لتقسم البلاغيين يصدر فيه عن عبدالقاهر ، فيرى أننا إذا ما درسنا البلاغة فعلينا أن نقسمها إلى علمين ((فنسمي العلم الذي يبحث عن فصاحة النظم « علم معاني النحو » أو « علم المعاني » على سبيل الاختصار في التسمية ، والعلم الذي يبحث عن فصاحة اللفظ أو عن معنى المعنى بعلم البيان ، وتكون التسمية مجرد اصطلاح ، وإلا فالكل بحث بياني[٦٩] .

ويشير المراغي إلى أنه استفاد من عبدالقاهر في هذا التقسيم ، الذي قسم الكلام الفصيح قسمين: قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النظم ، وعد من الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة والمجاز[٧٠] . وهو يتفق مع ما نادى به صاحب الأمالي في

(٦٧) البلاغة عند السكاكي : ص١٢٩ .
(٦٨) قراءة جديدة لتراثنا النقدي : ٨٣٢/٢ .
(٦٩) تاريخ علوم البلاغة : ص١١٩ .
(٧٠) انظر : دلائل الإعجاز : ص ٣٢٩ . وانظر : المرجع السابق : ١١٨ .

دعوته إلى العودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين وتفضيله ، بيد أنه أكثر تفصيلا وبيانا .

((وهذا التقسيم ـ كما يقول د . أحمد مطلوب ـ هو التقسيم الذي استند إليه السكاكي حينما قسمها إلى معان يبحث فيه عن الخبر والإنشاء ، والإيجاز والإطناب ، والفصل والوصل ، والقصر وغيرها ، وإلى بيان يبحث فيه عن المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه .

وحينئذ نكون قد عدنا إلى تقسيم السكاكي ؛ لأن النظم عند عبدالقاهر ليس إلا معاني النحو ، ومعاني النحو هي التقديم والتأخير ، والحذف والذكر والفصل والوصل والقصر ، وهذه الموضوعات هي التي أطلق عليها السكاكي مصطلح علم المعاني ، أما غير هذه الموضوعات فهي التي لا علاقة لها بالنظم ، وهي المباحث التي تكلم عليها السكاكي في علم البيان كالتشبيه والمجاز والكناية . ولكن عبدالقاهر نفسه لم يقف عند هذا التقسيم؛ لأنه يرى أن الاستعارة وغيرها من مباحث البيان من مقتضيات النظم أيضاً))[٧١] .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ المراغي كان أكثر تفصيلا من سواه في نقد هذا المنهج التقسيمي ونفي صحته ، بيد أنه لم يطبق رأيه هذا في كتابه «علوم البلاغة « فقد التزم التقسيم الثلاثي في هذا الكتاب .

المبحث الخامس : رأي المقدسي[٧٢]

وفي عام (١٩٥٥م) ينشر الأستاذ أنيس المقدسي بحثا عنوانه «المسوغات العقلية للبلاغة « أجمل فيه خصائص البلاغة العربية في ((الوضوح أو جلاء المعنى ، والإيقاع، أي: حسن التناسب بين أجزاء الجملة ، والإثارة، أي: المقدرة على إذكاء العواطف وتحريك القوى المتخيلة والفكرية ، ثم الإيماء أو الإيحاء إلى معان وراء المعاني القريبة))[٧٣] .

وينتقد في هذا البحث منهجَ البلاغيين في تقسيمهم الثلاثي لموضوعات البلاغة إلى معان وبيان وبديع ، ويرى أنه يخلو من التبويب المنطقي الذي تتأتى به الفائدة . يقول : ((رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطا ولا توقيفا ، بل ترجع إلى اعتبارات نفسية عامة . وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس وتدارسوها في أقسامها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . . . (وعلى الرغم) من درسها وشرحها فإنهم لم

(٧١) البلاغة عند السكاكي ، وانظر : دلائل الإعجاز : ص ٣٠٠ . ٣٠١ .

(٧٢) أديب وناقد لبناني ، باحث متخصص في تاريخ الأدب العربي الحديث ، من دعاة التجديد وأنصاره ، من مؤلفاته : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث . انظر : الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث ، ١٢٧٧/٢) .

(٧٣) مجلة المجمع العلمي العربي : ج ٣١/٣٠ . ٤١ .

يعنوا بتبويبها تبويبا منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع إلى أصولها))[٧٤] .

ويقترح تبويبا جديدا يقوم على ستة أبواب هي[٧٥]:

١ . باب التعادل .
٢ . باب التواطؤ اللفظي .
٣ . باب التواطؤ المعنوي .
٤ . باب المغايرة .
٥ . باب الخروج عن المعتاد .
٦ . باب الإيماء .

ذلك هو التخطيط الجديد الذي وضعه المقدسي لترتيب موضوعات البلاغة، ويدفعه إلى هذا التبويب كما أشار خلو المنهج القديم من التبويب المنطقي ، وسيادة الأحكام العقلية وغلبتها على البلاغة مما أدى((إلى إعراض (المحدثين) عن المحسنات والأساليب البيانية وحسبانهم إياها من الطرائق الرجعية)) [٧٦] . ولذلك حاول أن يقيم تبويبه الجديد على اعتبارات فنية جمالية .

وبالنظر في هذا التبويب عند المقدسي، نلحظ أنه لا يخرج عن دائرة البحث البلاغي القديم المتمثلة في علوم البلاغة ، وثانيا أنه لا يخلو من فائدة تتعلق بفنون البديع بخاصة، فهو فيما يبدو لنا يسهم في خلخلة الكثافة أو التضخم البديعي، لا سيما عند البديعيين المتأخرين الذين أفرطوا في تفريع فنون البديع كابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، وابن حجة الحموي (ت ٨٣٩هـ)، وغيره من شرّاح البديعيات ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نرى أنه يغفل أكثر أبواب علم المعاني فلم يذكر منها سوى التقديم والتأخير وأسلوب الاستفهام ، وأغفل ما عداهما من موضوعات هذا العلم المهمة المتعلقة بأحوال الجملة وأحوال أجزائها، ولهذا فضرره أكثر من نفعه .

المبحث السادس : رأي أحمد مطلوب[٧٧]

ويناقش الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب تقسيم السكاكي للبلاغة في كتابه « البلاغة عند

(٧٤) مجلة المجمع العلمي العربي : ص ٣٢ .
(٧٥) مجلة المجمع العلمي العربي : ص ٣٥ .
(٧٦) المرجع السابق : ص٣١ .
(٧٧) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بجامعة بغداد ، وعضو المجمع العلمي العراقي ، من مؤلفاته : البلاغة عند السكاكي ، القزويني وشروح التلخيص ، مناهج بلاغية ، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري . (انظر : القزويني وشروح التلخيص : ص٧٦٢) .

السكاكي « فيرى أنه ((لا أساس له ، ولا يمكن الأخذ به في دراسة البلاغة دراسة تقوم على الذوق والمقاييس الفنية))[٧٨] . ويدلل على خطأ هذا التقسيم بأمور ، أهمها ما يتعلق بتعريف السكاكي للمعاني والبيان ، وتتلخص في قوله : ((إن مطابقة الكلام بمقتضى الحال تشمل مباحث البلاغة كلها ، وإن تتبع خواص تراكيب الكلام لا تخص نوعا واحداً من أقسام البلاغة ، وإن الاستحسان والاستهجان ينطبق على موضوعات البلاغة كلها وإن إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان لا يخص البيان وحده ، وإنما يشمل جميع مباحث البلاغة . يضاف إلى ذلك أن الاحتراز عن الخطأ ينطبق على البلاغة كلها كما اتضح من تعريف السكاكي للمعاني والبيان ، ويتضح خطل ذلك أيضاً في عدم استقرار موضوعات البلاغة عند السكاكي ، فهو يذكر في علم المعاني مباحث من علم البديع ، ويذكر في علم البيان موضوعات أدخلها غيره في علم المعاني))[٧٩] .

وهي لا تخرج عن النقاط التي ذكرها المراغي لإثبات بطلان التقسيم الثلاثي من جهة الدراية ، وأوردناها آنفا .

ويقترح منهجا آخر في دراسة البلاغة يتلخص في إلغاء التقسيم الثنائي أو الثلاثي لموضوعات البلاغة والنظرة إليها نظرة واحدة دونما تمييز أو تفضيل ، وأن تتسع دائرة مباحثها القديمة لتشمل الكلمة المفردة والعبارة والأساليب المختلفة[٨٠] . وهذا المقترح لا يخرج عما دعا إليه الخولـي والشايب كما أسلفنا .

المبحث السابع : آراء أخرى

إذا كان بعض الباحثين المعاصرين الذين أشرت إليهـم آنفاً كالأستاذين الخولي والشايب قد دعوا في سياق تجاربهم في تجديد البلاغة العربية في ضوء مفهوم الأسلوب إلى إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة، وإدخال موضوعات المعاني والبيان والبديع في باب الأسلوب باعتبارها فصولا فيه ، فإن اتجاهات التجديد في البلاغة تزداد نموا بعد ذلك بظهور تجارب أخرى اتجهت إلى تجديد البحث البلاغي في ضوء علم الأسلوب أو الأسلوبية المعاصرة ، والتي تعد امتدادا لتلك الجهود الرائدة . وأصحاب هذا الاتجاه يأتي رأيهم في البلاغة ذات التقسيم الثلاثي في سياق حديثهم عن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية ، ويتجاوز رأيهم في البلاغة العربية هذه الخاصية المنهجية– أعني القسمة الثلاثية إلى البلاغة في مجملها – ويختلفون

(٧٨) البلاغة عند السكاكي :ص ١٣١ .

(٧٩) البلاغة عند السكاكي : ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٨٠) انظر : البلاغة عند السكاكي : ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والقزويني وشروح التلخيص : ص٦٨٧ ، ٦٨٨ .

في نظرتهم إليها تبعاً لاختلافهم في مفهوم التجديد أو التحديث . ويمكن تقسيمهم إلى فريقين :
الأول: يتسم بالغلو في طلب التجديد فيرى العلاقة بين علمي البلاغة والأسلوب علاقة توارث وتناسخ ، ويمثله الأستاذ لطفي عبدالبديع[٨١] ، والأستاذ صلاح فضل[٨٢] .
والثاني: يتسم بالاعتدال ، فيرى العلاقة بين العلمين علاقة تكامل ، ويمثله (الأستاذ شكري عياد والأستاذ سعد مصلوح) . وفيما يأتي إشارة إليهما :
– يعد كتاب « التركيب اللغوي للأدب »[٨٣] للدكتور لطفي عبدالبديع من أوائل الدراسات المعاصرة التي تمثل الاتجاه الحداثي في تجديد البلاغة العربية في ضوء علم الأسلوب أو الأسلوبية على نحو لا يخلو من الإسراف في طلب التجديد ، وصاحبه يتجاوز في نظرته إلى البلاغة العربية ذات القسمة الثلاثية ـ يتجاوز هذه الجزئية المنهجية ـ أعني التقسيم الثلاثي ـ التي هي محور البحث إلى البلاغة في مجملها ، فيقرر فقدانها علة وجودها في العصر الحديث ، ويعد الأسلوبية وريثا لها وبديلاً عنها . فقد عرض لمشكل العلاقة بين البلاغة الأسلوبية في الفصل الرابع من هذا الكتاب الذي جعل عنوانه «الأسلوبية والبلاغة » واستهله بالإشارة إلى أثر بعض الفلاسفة والمفكرين الأوربيين من أمثال « كروتشة »[٨٤] في تجديد علم اللغة ونحو اللغة الشعرية[٨٥] ، ثم يشرع في عرض بعض نقاط الاختلاف بين البلاغة والأسلوبية ، فيذكر فرقين بينهما : أولهما يتعلق بنظرة كل منهما إلى مكونات الأسلوب أو خصوصيات الكلام أو صيغة العمل الأدبي من حيث أصالتها وجوهريتها ، أو ثانويتها في لغة الأدب ومنهجهما في دراستها . فيشير إلى أن نظرية الأسلوب في تاريخها الطويل ترجع إلى تصورين : أحدهما قديم تقوم عليه البلاغة العربية وغيرها ، والآخر جديد تعتمده الأسلوبية الجديدة ، ومن مظاهر الاختلاف بين البلاغة والأسلوبية ، نظرة كل منهما إلى صور البيان والبديع التي يتألف منها أسلوب الشاعر أو الأديب . فالبلاغة العربية في نظر المؤلف ـ تنظر إلى هذه الصور على أنها أمور ثانوية تأتي للتزيين والتحسين ، وليست جوهرية في لغة الأدب ، وتكتفي في دراستها بتتبعها وتعيينها . أما الأسلوبية فإنها تعدها جوهرية في لغة الأدب ، لا تتحقق المادة الشعرية

(٨١) أستاذ جامعي مصري بجامعة عين شمس بالقاهرة ، له مؤلفات متعددة منها « التركيب اللغوي للأدب « .
(٨٢) أستاذ جامعي مصري بكلية الآداب جامعة عين شمس ، من مؤلفاته : نظرية الأدب ، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي . انظر : مجلة المنهل ، ع (٥٣٠) ، ج(٥٧) ، (شوال ـ ذي القعدة ١٤١٦هـ) ، ص١٥ .
(٨٣) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط/١ (١٩٧٠م) .
(٨٤) إيطالي (١٨٦٦ ـ ١٩٥٢م) من أعلام الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي . من مؤلفاته الجمالية كعلم للعبارة . انظر (الأسلوبية والأسلوب) : عبدالسلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط/٢ ، ص٢٥٣ .
(٨٥) انظر : التركيب اللغوي للأدب ، ص٨٨ .

إلا بها ، وأنها في دراستها تتجاوز تتبعها إلى فلسفتها وربطها بوظيفتها مما يجلي روح قائلها وفكره[٨٦] . والحق أن البلاغة العربية في عصور ازدهارها لا تنظر إلى الصور البديعية على أنها أمور ثانوية يؤتى بها للتزيين والتحسين فحسب ـ كما ذكر المؤلف ـ بل تؤكد أصالتها في لغة الأدب ، وهي في دراستها لا تقف عند تتبعها بل تتجاوز ذلك إلى الكشف عن دلالاتها وقيمتها وأثرها في تأدية المعاني على نحو ما نجد عند بعض المتقدمين كصاحب الوساطة وعبدالقاهر الجرجاني[٨٧] .

وثاني الفرقين بين البلاغة والأسلوبية ـ في رأي المؤلف ـ يتعلق بتصور اللغة فيهما وخلاصته أن اللغة في الأسلوبية من خلق الأديب أو الشاعر وإبداعه ، يقتضيها تصوره للأشياء والكائنات وتتصل بمعرفته الفطرية . أما في البلاغة فلها وجود في حد ذاتها يقطع النظر عن القائل أو الكاتب[٨٨] . هذا وقد أغفل المؤلف أوجه التشابه ، أو نقاط الالتقاء بين البلاغة والأسلوبية التي أشار إليها غيره ممن يمثل الفريق الثاني كما سيأتي .

وينتهي المؤلف مما ذكر من فرق بين البلاغة والأسلوبية إلى تقرير مصير البلاغة العربية في نظره . يقول: ((وقد كان للبلاغة سلطان أيام كان العقل العربي تحدوه هذه الحقائق ، ويعيش في كنفها ، ثم لما نضبت القرائح وأدركها العجز عن الاختراع راح صناع القريض يلتمسون العون من البلاغة وما ضمته من نماذج كانت عندهم بمثابة جملة القيم الكلية التي لا غنى عنها . وبقي سلطانها ما بقيت الحاجة التعليمية إليها من هذه الجهة . . حتى إذا كان العصر الحديث ونمت تجارب الفرد ذاته وتغيرت قيمه الاستطيقية فقدت البلاغة علة وجودها ، ولم يعد أحد يحتكم غليها في شعر أو نثر ، فلا نحسب أن البارودي أو شوقي أو غيرهما من شعراء العصر وكتابه الذين استظهروا بروائع الآداب الأجنبية كان يرضيه أن يقال له إنك جيد التشبيه أو حسن الجناس))[٨٩] .

فواضح أن المؤلف يقرر فقدان البلاغة العربية علة وجودها ، وينفي الاحتكام إليها في دراسة الأدب العربي الحديث ، وينتهي إلى تفضيل منهج الأسلوبية على ما عداه في دراسة الأدب واستخراج مكنوناته من طريق اللغة ، مشيراً إلى اهتمام أغلب الباحثين المحدثين به[٩٠] . ولذلك يشرع في الحديث عن أصول الأسلوبية ومذاهبها بإيجاز باعتبارها بديلاً عن البلاغة في دراسة لغة الأدب بل وعن النقد

(٨٦) انظر : التركيب اللغوي للأدب ، ص٨٩ .
(٨٧) انظر : الوساطة : ص٣٢ ، ٣٣ ، وانظر : أسرار البلاغة : ١/٩٩- ١١٢ ؛ ودلائل الإعجاز: ص٧٣ ، ٧٤
(٨٨) انظر : التركيب اللغوي للأدب : ص٨٩ ـ ٩١ .
(٨٩) التركيب اللغوي للأدب : ص ٩١ .
(٩٠) انظر : التركيب اللغوي للأدب ، ص٩٧ .

أيضاً[٩١] .

والحق أن ما قرره المؤلف هنا يتسم بالغلو . فلا شك ((في أن تطورات كثيرة قد طرأت على الأدب الحديث ، وأن معطيات جديدة قد داخلته ، فيها بعض التباين عن معطيات البلاغة القديمة . ولكن من الخطأ أن نبالغ في ذلك ؛ لأن الأديب لم يتفلت تمام التفلت من البلاغة القديمة لارتباط هذه البلاغة بأسس جوهرية ثابتة في الأدب عامة ، وهي ليست مقصورة على القدماء كما أنها ليست مقصورة على العرب وحدهم ففي كل أدب جوانب منها ، وفي كل زمان ومكان حاجة إليها ، كتخير الألفاظ ، والعناية بموسيقاها ، وتركيب العبارات ، وقوة سبكها ، ووضوح دلالتها ، واعتمادها على الإيحاء ولا سيما في الشعر ، والإيجاز والإطناب والمجاز العقلي واللغوي ، والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات اللفظية والمعنوية . كل هذه الأمور لم يستغن عنها الأدب الحديث ولا في مستطاعه أن يستغني عنها ، وإن طور استعمالها بعض التطوير . . .))[٩٢] . هذا ومن المعلوم أن من اتجاهات النقد الأدبي عند العرب قديماً وحديثاً ومناهج تحليل النصوص الأدبية الاتجاه أو المنهج الفني ، وهو –يعتمد فيما يعتمد– على القواعد والأصول الفنية الموضوعية ومنها قواعد اللغة والبلاغة[٩٣] . هذا وعلى الرغم من أهمية علم الأسلوب ، وإمكانية الإفادة منه في إخصاب وإثراء البحث البلاغي فإن هذا العلم لا يمكن أن يكون بديلاً ووريثاً للبلاغة العربية التي تستمد أصولها من القرآن الكريم ، ذلك الكتاب المعجز الخالد ومن الحديث النبوي ومن الأدب العربي ، وإذا صح ما ذهب إليه المؤلف فيما يخص البلاغة الغربية القديمة –كما يقرر ذلك أهلها– فإن تعميم ذلك على البلاغة العربية لا يستقيم لاختلاف اللغات والتراث بين الأمم ، ولأن العلاقة بين العلوم هي علاقة تكامل وليست علاقة تناسخ وتوارث . هذا ويتفق مع المؤلف في رأيه الآنف في البلاغة العربية ذات التقسيم الثلاثي بعض المعاصرين الذين يمثلون هذا الفريق كالأستاذ عبدالسلام المسدي[٩٤] في كتابه « الأسلوبية والأسلوب » الذي عرض فيه النظرية الأسلوبية المعاصرة باعتبارها تياراً جديداً موضوعياً

(٩١) انظر : التركيب اللغوي للأدب ، ص ٩٨ ـ ١٠٣ .

(٩٢) البلاغة والتحليل الأدبي : د. أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين . بيروت ، ط/١ (١٩٨٨م) ، ص١٤ .

(٩٣) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ص١١٥ ، والنقد الأدبي بين القدامى والمحدثين ، د . العربي درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٨٨م) ، ص٢١٣ ، والنصوص الأدبية تحليلها ونقدها: د. علي عبدالحليم محمود ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ط/١ (١٣٩٩هـ/١٩٨٩م) ، ص٢١ .

(٩٤) أستاذ جامعي تونسي بكلية الآداب الجامعة التونسية ، من مؤلفاته : النقد والحداثة ، قاموس اللسانيات . انظر : (اللسانيات من خلال النص) ، المسدي ، الدار التونسية للنشر ، ط/٢ ، ص١٩٤ ؛ ومجلة المنهل ، جدة ، ع (٥٣٠) ، ج (٥٧) ، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، ص٧ .

في النقد الأدبي ، وباعتبارها بديلاً عن البلاغة القديمة ومنها البلاغة العربية بالمفهوم الأصولي للبديل الذي يوضحه بقوله : ((أن يتولد عن واقع معطى وريثٌ ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه . . .))[٩٥] . ومنهم الدكتور صلاح فضل في كتابه « علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته »[٩٦] ، وهو كمن سبقه يقدم النظرية الأسلوبية باعتبارها بديلاً ووريثاً للبلاغة العربية التي يصفها بالعقم والجفاف والجمود بمقتضى تطور الفنون والآداب الحديثة[٩٧] . هذا ويصدر هذا الفريق في نظرته إلى العلاقة بين البلاغة والأسلوبية خاصة والعلاقة بين العلوم اللغوية القديمة والحديثة عموماً عن مفهوم للتجديد يتسم بالغلو ويقوم على الفصل بين القديم والحديث ، وينسجم مع مفهوم متطرف للحداثة في الفكر والفن والأدب ، يتمثل في أنها ((انقطاع معرفي ، وأن مصادرها المعرفية لا تكمن في مصادر التراث والفكر الديني وكون الله مركز الوجود . . . الحداثة انقطاع معرفي لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر ، والفكر العلماني ، وكون الإنسان هو مركز الوجود . . .))[٩٨] .

هذا وإذا كان هذا الفريق المسرف في حداثته يعد العلاقة بين علمي البلاغة والأسلوب علاقة توارث ويعد الأسلوبية وريثاً للبلاغة العربية فإن الفريق الثاني المعتدل في طلب التجديد ينقض ذلك ، ويرى العلاقة بين البلاغة والأسلوبية علاقة تكامل وليست علاقة توارث : ويمثل هذا الفريق الأستاذ شكري عياد[٩٩] والأستاذ سعد مصلوح[١٠٠] ، وقد خطا هذا الفريق خطوات في سبيل تجديد البلاغة العربية ذات التقسيم الثلاثي في ضوء الأسلوبية ، أو علم الأسلوب وفي علاج إشكالية العلاقة بينهما : تقف الخطوة الأولى عند عرض أوجه التشابه والاختلاف بينهما وتتمثل في كتاب «مدخل إلى علم الأسلوب» [١٠١] ، للدكتور شكري عياد ، وتحاول الثانية تحديد الملامح الأساسية للمنهج البلاغي في دراسة الأسلوب الأدبي ، مستهدفة وضع البلاغة العربية على خريطة علم الأسلوب المعاصر ، وإعادة تشكيل مباحثها

(٩٥) الأسلوبية والأسلوب : ٥٢ .

(٩٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط/٢ (١٩٨٥م) .

(٩٧) انظر : علم الأسلوب : ص٣ .

(٩٨) مجلة فصول (ج٤) ، (ع٣) ، ١٩٨٤م ، ص٣٧ ، وتقويم نظرية الحداثة : د. عدنان النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط/١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ص١٠٦، ١٠٧ ، وانظر : علم الأسلوب : ص١٤٠ .

(٩٩) أستاذ جامعي مصري بجامعة القاهرة ، له كتب متعددة ، موزعة بين تأليف وترجمة وتحقيق، منها : كتاب أرسطو طاليس في الشعر (تحقيق) .

(١٠٠) أستاذ اللسانيات والصوتيات بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، له أبحاث ودراسات منها : الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية ، انظر : (مجلة عالم الفكر ، ج (٢٢) ، ع (٣ ، ٤)، يناير - يونيو (١٩٩٤م) ، ص١ .

(١٠١) مطبعة دار العلوم ، الرياض ، ط/١ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

بحيث تتجاوز مواطن الاختلاف أو المباينة المعرفية بينها وبين الأسلوبية لتصبح البلاغة مكونا فاعلاً من مكوناتها القادرة على مقاربة النص وقراءته على نحو علمي منضبط ، وتتمثل في كتابي « اتجاهات البحث الأسلوبي »[١٠٢] للدكتور شكري عياد ، وفي بحث « مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية »[١٠٣] للدكتور سعد مصلوح ، والخطوة الثالثة تتجاوز ذلك إلى محاولة تأصيل علم للأسلوب العربي وتتمثل في كتاب « مبادئ علم الأسلوب العربي أو أصول البلاغة العربية »[١٠٤] للدكتور شكري عياد .

وقد قمت بدراسة هذه التجارب دراسة تحليلية نقدية في رسالتي للدكتوراه[١٠٥] ، ويعنيني هنا بيان نظرة هذا الفريق إلى البلاغة العربية ذات القسمة الثلاثية ، ومدى اختلافها عن نظرة الفريق الأول .

فإذا كان الفريق الأول ينظر إلى البلاغة العربية بعين الاحتقار ، فيصفها بالعقم والجمود ، فإن الفريق الثاني ينظر إلى بلاغتنا بعين التعظيم . يقول شكري عياد في المدخل في سياق حديثه عن دوافع وأهداف تجربته في تجديد البلاغة : ((. . . والخصم الذي يحاول هذا الكتاب تدميره ليس بلاغتنا القديمة العظيمة ، ولكنه الفوضى البلاغية ــ بل اللغوية ــ التي شاعت بيننا في السنوات الأخيرة ، ولا سيما بين أدباء الشباب . فهؤلاء عازمون ــ كما يبدو ــ على تحطيم كل بلاغة مأثورة ، ولكنهم عاجزون ـ في الوقت نفسه ـ عن أن يحلوا محلها بلاغة جديدة . وهذا الكتاب يود أن يقول لهم إن تجديد اللغة الفنية ليس أمراً هينا ، وإن وراء كل عمل أدبي جيد جهدا هائلا في الصياغة اللغوية ، جهدا يعتمد على الثقافة والفكر كما يعتمد على الشعور ، ويخلق تكويناته الجديدة من خلال التكوينات القديمة وبواسطتها . . .))[١٠٦] .

وإذا كان الفريق الأول يعد العلاقة بين البلاغة وعلم الأسلوب علاقة توارث وتناسخ ، انطلاقاً من مفهوم للتجديد يتسم بالغلو– كما أسلفنا– فإن الفريق الثاني يعد العلاقة بين البلاغة والأسلوبية بل بين العلوم اللغوية القديمة والعلوم اللغوية الحديثة علاقة تكامل انطلاقا من مفهوم للتجديد يتسم بالاعتدال يجمع بين الأصالة والمعاصرة . يقول الأستاذ عياد في مقدمة المدخل بعد أن أشار إلى قدم الكلام عن الأسلوب

(١٠٢) مطبعة دار العلوم ، الرياض ، ط/١ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
(١٠٣) قراءة جديدة لتراثنا النقدي : جـ٢/٨١٩ - ٨٦٧ .
(١٠٤) القاهرة ، ط/١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .
(١٠٥) انظر:محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين:جـ٢/ص٦٧٧ - ٧٦٦ ، ٨٠٦ - ٨٣٠.
(١٠٦) مدخل إلى علم الأسلوب : ٧ ، ٨ .

، وحداثة علم الأسلوب وعراقة نسبه في ثقافتنا العربية ((لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة))[١٠٧] ـــ يقول : ((والواقع أن هذا الكتاب لا يصدر عن رغبة في الحداثة أو التحديث ، فضلا عن أن يحاول فتنة الناس ببدعة جديدة من بدع الثقافة الغربية ، ولكنه يحاول أن ينشئ في ثقافتنا العربية علماً جديداً مستمداً من تراثنا اللغوي والأدبي ، ومستجيباً لواقع التطور في هذا التراث الحي ، ومستفيداً من دراسات أهل الغرب بالقدر الذي يمكن من رؤية التطور المعاصر رؤية تاريخية ، وقراءة التاريخ قراءة عصرية))[١٠٨] . ويقول في مقدمة الكتاب الثاني « الاتجاهات » : ((وكنت قد أخرجت للناس كتابا بعنوان « مدخل إلى علم الأسلوب » أردت أن أفتح به باباً على نوع من الدراسة عرفه الأوروبيون منذ قرابة ثمانين سنة ، وأن أشير إلى ما بين هذا العلم الحديث وبلاغتنا القديمة من تلاق وافتراق ؛ ليكون ذلك كله عدة بين أيدينا إن أردنا أن نتصرف في حاضرنا نصرف المالكين ، فنجدد ونبتكر ولا نقف عند حدود المحافظة على القديم أو تقليد الوافد . . . أردت أن أثبت بهذا العمل الضئيل أننا إذا نظرنا إلى تراثنا بعيون مفتوحة على ثقافة العصر أمكننا أن نعرف قيمة ذلك التراث بلا مبالغة ، وأن ننقده بلا خجل ، وأن نعيشه بلا جحود . ذلك أن إعادة تفسير الماضي في ضوء حاجات الحاضر وتطلعات المستقبل يحيل كتلة الماضي إلى زخم يدفع الحاضر نحو المستقبل . . .))[١٠٩] . فالمؤلف لا يقف بهذا الكتاب عند مجرد التعريف بعلم الأسلوب ، وبيان ما بينه وبين البلاغة العربية من أوجه الالتقاء والتباين ، بل يريد أيضاً أن يثبت به قيمة منهجه ذي الرؤية التاريخية في قراءة التراث بعين مفتوحة على ثقافة العصر ، والتفاعل معه وتقييمه بلا مبالغة وفي هذا بعث للأمس يدفع اليوم إلى الغد . وبهذا يتميز هذا الفريق المعتدل عن الفريق الآخر المسرف في حداثته. فهو لا يقتصر على عرض النظرية الأسلوبية المعاصرة فحسب ، ولا يستعبده الجديد الوافد ولا يعده بديلا لبلاغتنا القديمة ذات القسمة الثلاثية .

وإذا كان الفريق الأول يعترض على ربط العلوم اللغوية الحديثة بجذور من التراث اللغوي عند العرب أو على الرجوع إلى التراث لتأصيل النظرات الأسلوبية الجديدة فإن الفريق المعتدل يؤكد صحة ذلك يقول الأستاذ عياد في سياق رده على الفريق الأول : ((إن الرجوع إلى الأصولية لا إشكال فيه ، فإن تشومسكي نفسه يعود إلى بعض الأصوليين في كثير من الإشكالات . أما مسألة الإطار المعرفي فأنا أسلم بوجود إطار معرفي إنساني يسبق كل شيء (يسبق الحداثة ، لأن الحداثة لا تسير في اتجاه صحيح) . . .

(١٠٧) مدخل إلى علم الأسلوب : ص ٧ .
(١٠٨) مدخل على علم الأسلوب : ص٧ .
(١٠٩) اتجاهات البحث الأسلوبي : ص ٥ ، ٦ .

إن العقل البشري واحد ، والثقافة الغربية بدأت مستعينة بثقافتنا العربية في طور ازدهارها ثم استمرت في طريق ما ، لا أجزم أنه الطريق الأمثل ، بل هو طريق مسدود ، لذلك فإني أوثر الرجوع إلى التراث لتأصيل هذه النظرات الجديدة))[١١٠] .

المبحث الثامن: رأي الباحث:

وبعد، فتلك أهم الآراء والمواقف في نقد التقسيم الثلاثي لموضوعات البلاغة ، وهي تجمع على تخطئة هذا المنهج ، وأنه لا أساس له ، وتدعو إلى إلغائه ، وتتجه اتجاهين : الأول ـ يدعو إلى العودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين ، ويمثله الأستاذان المراغي وصاحب الأمالي .

والثاني ـ يطرح مناهج وخططاً جديدة بديلة . بعضها يتسم بالضيق ، لأنه يغفل أبوابا وموضوعات بلاغية مهمة ، ولهذا فضرره أكثر من نفعه ، ويمثله الأستاذ المقدسي، وبعضها يتسم بالسعة فتدخل فيه موضوعات المعاني والبيان والبديع على أنها فصول في باب الأسلوب وفن القول ، ويمثله الأساتذة : الخولي والشايب ومطلوب وبعضها الآخر يتسم بالغلو فيتجاوز رأيه هذه الجزئية المنهجية ـــ أعني التقسيم الثلاثي ـــ فيعد الأسلوبية أو علم الأسلوب وريثاً للبلاغة وبديلاً عنها . وبعد عرض هذه الآراء والاتجاهات وتحليلها ، وإجمال الرأي فيها، يأتي تفصيله وبسطه ، فما قيمة هذا التقسيم في نظر الباحث ، وما موقفه من تلك الاتجاهات النقدية ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول : إن قيمة التقسيم الثلاثي للبلاغة عند المتأخرين تتضح ببيان أثره في الدرس البلاغي . فما طبيعة هذا الأثر ؟ أهي سلبية كما أشارت الآراء والمواقف السابقة ؟ أم هي إيجابية ؟ أم هي مزيج بينهما ؟ لقد أشرت في المبحث الأول من هذا البحث إلى أن منهج المتأخرين من أعلام المدرسة الكلامية السكاكية في دراسة البلاغة العربية له إيجابياته وسلبياته ، فإلى أي مدى يصدق ذلك على التقسيم الثلاثي لمباحث البلاغة باعتباره أبرز خصائص منهج هذه المدرسة ؟

إن نظرة موضوعية إلى منهج المدرسة السكاكية الذي يتسم بالدقة والتحديد ، تقرر أنه حفظ علم البلاغة العربية وأصولها من الفوضى والضياع والاضطراب ، فقد استطاع أعلام هذه المدرسة أن يضعوا من نظرات السابقين وآرائهم في البلاغة علما له أصوله وقواعده ، وصاغوا ذلك صياغة علمية دقيقة ، ثم جعلوه ثلاثة علوم كما نراه اليوم .

وأغلب الظن أنهم حينما نهجوا هذا النهج في دراسة البلاغة ، لم يهدفوا إلى تجزئتها وجفافها

(١١٠) قراءة جديدة لتراثنا النقدي : جـ٢/٨١٨ .

ونضوبها، بقدر ما قصدوا غاية تعليمية تربوية ترمي إلى تيسير دراستها وتمثلها والاشتغال بها على صورة يمكن ضبطها، لا سيما في البيئة المشرقية الأعجمية من العالم الإسلامي التي ولد فيها هذا المنهج على يدي أبي يعقوب السكاكي ورجال مدرسته . ولا ريب في أن هذا المنهج في التقسيم والتحديد يحقق هذا الغرض التعليمي، فيه استطاع طلبة العلم استيعاب قواعد البلاغة وأصولها ومباحثها . وهو استيعاب أعانهم على تلمس مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، والكشف عن خصائص الجمال البلاغي في حديث الرسول e وفي كلام العرب قديما وحديثا . وتلك ناحية مضيئة في هذا التقسيم لا ينكرها منصف ، بيد أن هذا التقسيم لا يخلو من سلبيات ألقت بظلالها على البحث البلاغي منها :

١- أنه أدى إلى تضييق دائرة البلاغة، وهذا ما أشارت إليه أغلب الآراء السابقة ، فإذا ما عقدنا موازنة بين دائرة البلاغة في صورتها الأخيرة، وبين أفق البلاغة عند المتقدمين ، لوجدنا البلاغة عند القدماء أوسع أفقا وأرحب ميدانا، نراها مفتحة الأبواب ، قابلة للزيادة والتجديد والنماء ، إذ حاصلها البحث عن أسرار البلاغة وخصائص الجمال اللغوي ، ولم تهمل العنصر الثاني من عناصر الأدب وهو المعاني . فقد تحدث المتقدمون عن المعاني من نواح متعددة : من حيث الصحة والخطأ[١١١] ، والصدق والكذب[١١٢] ، وبحثوا أنواع المعاني من حيث الابتداع والاحتذاء، أو الابتكار والتقليد[١١٣] ، وطريقة تناولها[١١٤] ، وأشار بعضهم إلى مراحل إيجاد المعاني كالإرادة[١١٥] ، والملاحظة ، والاطلاع[١١٦] والتأمل[١١٧] .

وكذلك إذا ما وازنا بين دائرة البلاغة في صيغتها النهاية عند المتأخرين، وبين دائرتها كما ترسمها محاولات تجديدها في ضوء مفهوم الأسلوب ممثلة في كتابي فن القول لأمين الخولي والأسلوب

---

(١١١) انظر : كتاب الصناعتين ، ص ٧٥ وما بعدها .

(١١٢) انظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تح كمال مصطفى ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط/٣ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ، ص٣٣ .

(١١٣) انظر : كتاب الصناعتين : ص٧٥ .

(١١٤) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، تح : أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ص٢٠٤ .

(١١٥) انظر : البيان والتبيين : الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ط/٤ ، جـ١/١٣٥ وما بعدها ، وانظر : العمدة : ابن رشيق ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، ط/٤ (١٩٧٢م) ، جـ١/٢١٤ .

(١١٦) انظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : الآمدي ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر (١٩٦١م) ، جـ١/١٩٢ .

(١١٧) انظر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : جـ١/٣٨٩ .

للشايب ، أو في ضوء الأسلوبية أو علم الأسلوب الحديث ، لرأينا الفرق واسعا بين الدائرتين[١١٨] . بيد أن بعض هذه التجارب في تجديد البلاغة تطرح لتحتوي بلاغتنا القديمة ـ التي تستمد أصولها من القرآن الكريم وكلام العرب ـ وتختفي فيها أو لتكون بديلا عنها ووريثا لها[١١٩] ، وبذلك تذوب فيها بلاغتنا القديمة ، ونهيل التراب على فترة مشرقة من تاريخنا ، وهذا ما نخالفهم الرأي فيه ، ونرى أن يكون الأسلوب أو علم الأسلوب امتدادا لها أو فرعا من فروعها . وهذا الرأي ينسجم ومفهوم التجديد الحق المستقيم في نظر كثير من المعاصرين ، فهو امتداد للقديم وتهذيب له وإضافة إليه[١٢٠] ، وليس انقطاعا عنه أو إلغاء له كما يرى المفرطون في طلب التجديد من الحداثيين المعاصرين كما أشرنا – ولهذا نؤيد ما ذكره أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى حيث قال ـ بعد أن انتقد إخراج « ابن خلدون « الأسلوب من علم البلاغة وأكد شمول المطابقة البلاغية لتعريف الأسلوب عند « ابن خلدون « ـ قال : ((وبهذا يكون الأسلوب أو علم الأسلوب فرعا من فروع علوم البلاغة أو وجها من وجوهها تمده ويمدها ، وتثريه ويثريها ، وليس بلازم أن يكون بديلا أو وريثا لا يقف في ساحتها إلا بعد أن توارى ثرى قبرها ، كما هو الحال عند أمم أخرى وفي لغات أخرى ، وبلاغات أخرى . وأكثر الدراسات الأسلوبية التي دارت في المرحلة الأخيرة تؤكد هذه الفكرة ، وهي أن علم الأسلوب بديل ووريث للبلاغة ، وأنه لا يزدهر إلا بمقدار ذبولها ، وهذا صحيح ما دام أصحاب هذه اللغات يرون ذلك في ضوء معرفتهم للغاتهم وبلاغتهم وتراثهم ، وليس فيه شيء من الصحة في ضوء معرفتنا للغتنا وبلاغتنا وتراثنا الأدبي ، والذين يؤكدون هذه في بلاغة العربية وتراث العربية ويرون أن علم الأسلوب بديل ووريث شرعي لها يرددون مقالة الغير من غير أن يلحظوا فروق العلوم واللغات والإرث الأدبي الذي هو مختلف بين الأمم لا محالة))[١٢١] .

٢ – هذا وإذا كان التقسيم الثلاثي لمباحث البلاغة وموضوعاتها قد أخرج البديع من دائرتها ، وجعله ذيلا وتابعا لها كما أسلفنا ، فهل لذلك من أثر أدبي ؟ وما طبيعته ؟ .

إن الناظر في آثار المدرسة السكاكية التي تعتمد هذا التقسيم ، والذي يعد خاصية من خصائص

(١١٨) انظر : مدخل إلى علم الأسلوب : د. شكري عياد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط/١ (١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م) ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(١١٩) انظر : التركيب اللغوي للأدب ، د. لطفي عبدالبديع : ٩١ ، وعلم الأسلوب : د.صلاح فضل ص ٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١٢٠) انظر : تحت راية القرآن : الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٧ ، (١٣٩٤هـ. ١٩٧٤م) ، ص٢١٠ ، ٢١١ ، والبلاغة تطور وتاريخ : ٣٨٧ .

(١٢١) دلالات التراكيب : د. محمد محمد أبو موسى ، دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ، ص ١٨ ، ١٩ .

منهجها في بحث البلاغة، يلاحظ أن هذا التقسيم قد جار على الناحية الأدبية كما أشارت الآراء السابقة في ظواهر متعددة، منها الإقلال من الشواهد الأدبية وقلة العناية بالناحية الجمالية، وغلبة النظرة الجزئية في تحليلها. فبدافع من هذا التقسيم نظر البلاغيون إلى النصوص نظرة جزئية، فوقف رجال هذه المدرسة- غالبا- عند حدود موضع الشاهد قلما يتجاوزونه، سواء أكان الشاهد بعض جملة أو جملة أو أكثر. وهذا منهج قليل الجدوى في دراسة بلاغة النصوص ومعالجتها. فإذا ساغ ذلك في النحو مثلا وأدى غايته من بيان الصحة النحوية، فإنه لا يسوغ في دراسة البلاغة، ولا يؤدي وظيفتها تامة كاملة في إبراز أسرار الحسن وبيان مواطن الجمال البلاغي؛ لأن الجمال تناسق بين أجزاء الشيء الجميل، وتوازن بين عناصره فإذا اختل التوازن والتناسق في بعضها اختل الجمال والحسن ولو كان البعض الآخر منها سليما في ذاته.

وإذا نظرنا إلى البلاغة في عصر ازدهارها عند عبدالقاهر ومنهجه في اختيار الشواهد وفي تحليلها نجده يختار الأبيات الكثيرة مع أن موضع الشاهد بيت واحد أو شطرة منه لأنه كان يرى أن ((البيت إذا قطع عن القطعة كان كالكعاب تفرد عن الأتراب فيظهر فيها ذل الاغتراب، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهى في العين، وأملأ بالزين منها إذا أفردت عن النظائر، وبدت فذة للناظر))[١٢٢]، وفي تحليلها ينظر نظرة شاملة تربط بين وحداتها وأجزائها. استمع إليه موضحا هذه النظرة في تحليله لآية الطوفان في سياق شرح نظريته في النظم: ((. . . وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ [١٢٣]، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع على ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها. إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه في مكانها من الآية. . .))[١٢٤].

ذلك هو المنهج الأمثل في دراسة النصوص البليغة، والنظرة الشاملة لبلاغتها، يضع أصوله عبدالقاهر في تحليله لهذه الآية الكريمة وغيرها. فقد ربط بين وحداتها ربطا وثيقا حتى بدت كيانا حيا متناغما يؤثر كل عنصر منه في سائر العناصر الأخرى، فليس هنا نظرة جزئية تبرز جمالا جزئيا، بل نظرة

(١٢٢) أسرار البلاغة: ٢/٧٢.
(١٢٣) سورة هود: ٤٤.
(١٢٤) دلائل الإعجاز: ٣٦، ٣٧.

كلية تبرز جمالاً كليا ، فإذا ما وازنا هذا بتحليل السكاكي لهذه الآية ، لرأينا البون شاسعا بين الدراستين ، ذلك لأن السكاكي نظر إلى البلاغة في الآية بشيء من الاستقلال والانفصال ، فوجّه منهجه في التقسيم تذوقه وتحليله لبلاغة الآية ، فعدد ما فيها من وجوه المعاني ، ثم وجوه البيان ، ثم ما تضمنته من الفصاحة اللفظية والمعنوية[١٢٥] .

وبعد ، فلئن حقق التقسيم الثلاثي لمباحث البلاغة وموضوعاتها غاية تعليمية نظرية مدرسية ، فإن التزامه والتقيد به في تحليل بلاغة النصوص ، لا يمكن أن يفي بغايات البلاغة الدينية والأدبية والنقدية ، وينمي الذوق البلاغي الناتج عن معايشة النصوص البليغة وتذوقها ، والكشف عن خصائصها وأسرار جمالها . ولذلك فإني أتفق مع من قال إن ((تقسيم البلاغة إلى أقسام ثلاثة فيه من المنهجية مما يجعل القارئ يستسيغها ويعيها ، إلا أن التمادي في فصل أنواعها فصلا تاما ، وإقامة الحواجز بينها يجعلها علوما مستقلة هو المعيب المرفوض))[١٢٦] .

هذا وقد علل الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى هذا التقسيم عند البلاغيين بأنهم ((لم يقصدوا منه إلا أن ينظروا إلى الكلام من كل وجه ، ليستخرجوا منه أسرار بلاغته ، ولذلك قسموه إلى نواح ثلاث تتميز وتتداخل في وقت واحد ، وهذه النواحي هي :

أ- النظر في علاقات الكلام ، وما تولده هذه العلاقات من أحوال وهيئات ، وهو باب الصياغة ، وقد أفردوا له علم المعاني .

ب- دراسة ما داخل الكلام من أحوال وأشياء وأحداث اصطنعت وسائل للإبانة ، سواء أكان ذلك على سبيل المقارنة ، كمقارنة الغيث والليث للجواد والشجاع في أسلوب التشبيه ، أم كان ذلك على سبيل الممازجة وتداخل الأشياء ، وذهاب ما بينها من حدود وصياغة الأشياء صياغة جديدة في سبيل الإبانة عنها ، فالجواد يصير غيثا ، والشجاع يصير ليثا ، أم كان ذلك قائما على إبراز علل وملابسات ، كالغيث الذي يعبر عنه بالنبات للإشارة إلى أنه كائن عنه أو الإبانة عن الندم بالعض على الأصابع .

ج- النظرة إليها من جهة ما سمي وجوه تحسين الكلام ، كالنظر إلى علاقات الألفاظ لا من جهة ضم بعضها إلى بعض ، بل من حيث دلالتها الإفرادية المعزولة ، وما بين هذه الدلالات من علاقات ، كالذي بين الليل والنهار من تطابق ، والذي بين الشمس والقمر من تناظر ، أو من حيث ما

(١٢٥) انظر : مفتاح العلوم : ١٩٩ .

(١٢٦) البلاغة العربية : د. حفني شرف ، مكتبة الشباب ، القاهرة (١٩٧٢م) ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

يجري في أوصال الكلام من ذبذبات لها أحوال تخامر بها النفس ، وتستولي على هوى القلب ، كالازدواج والمماثلة والترصيع والتسجيع . . . وهذا التمايز الواضح بين طبيعة البحث في هذه المجالات الثلاثة، هو الذي اعتبر عندهم في تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة ، وهو تقسيم قائم على نظر صحيح ، وفروق بيّنة في طبيعة الدراسة ، ولهذا لم نر وجها مقبولا للطعن في هذا التقسيم . . .))[١٢٧] .

هذا وذهبت الأستاذة زينب عبدالجواد إلى أن التقسيم الثلاثي للبلاغة ((لا عيب فيه . . . وأنه لم يعد مشكلة عويصة ، تعوق البلاغة عن سيرها الفني ، بل كان نابعا من اهتمام القدماء بأمر البلاغة)) [١٢٨] . ونفي العيب والضرر عن هذا التقسيم نفيا مطلقا لا يخلو من مبالغة . وصفوة القول : إنني لا أتفق مع من نادى بإلغاء التقسيم الثلاثي ؛ لما فيه من المنهجية بما يحققه من غاية تعليمية ، هذا مع عدم التزامه والتقيد به في دراسة النصوص وتحليلها بلاغيا على نحو ما أوضحته آنفا .

الخاتمة:

وبعد، فلعل فيما سبق ما يبين مواقف المعاصرين من خاصية التقسيم الثلاثي في منهج البلاغيين المتأخرين وموقفنا منها ، ومنه يمكن أن أسجل النتائج الآتية :

١ . تعد خاصية التقسيم المنطقي من أبرز معالم منهج المتأخرين ، وهي أثر من آثار الفلسفة والمنطق في دراسة البلاغة ، ويعد التقسيم الثلاثي مظهرا من مظاهرها ، ويعد السكاكي أول من قسّم البلاغة علمين هما : المعاني والبيان، وفصل البديع عنهما وسمّاه محسّنات ، وتابعه رجال مدرسته فأطلقوا عليها اسم «علم البديع « .

٢ . جمع البحث البلاغي في عصور ازدهاره عند المتقدمين بين القاعدة والذوق ، وحقق التوازن بينهما ويمثل عبدالقاهر ذلك خير تمثيل ، ثم تحول على يدي السكاكي ومدرسته إلى قواعد، وأغفلت جانب الذوق، أو كادت، وسيطر منهجهم ذو التقسيم الثلاثي على البحث البلاغي في عصوره المتأخرة منذ القرن السابع إلى العصر الحديث .

---

(١٢٧) دراسة في البلاغة والشعر : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/١ ، (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١٢٨) أمين الخولي ومدرسته في البلاغة والنقد (رسالة دكتوراه مخطوطة عام ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ، جامعة الأزهر) ، ص ١٥١ .

٣. تباينت آراء المعاصرين في التقسيم الثلاثي في منهج المتأخرين . فمنهم من سلم به وسار على منواله ، ومنهم من استهجنه ودعا إلى إلغائه ، وهؤلاء يتجهون اتجاهين : أحدهما يدعو إلى العودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين ، وثانيهما يقترح مناهج جديدة بديلة بعضها يتسم بالضيق ، وبعضها يتسم بالسعة ، فتدخل فيه موضوعات المعاني والبيان والبديع على أنها فصول في باب الأسلوب . وبعضها الآخر يتسم بالغلو فيعد علم الأسلوب بديلا للبلاغة العربية .

٤. لا شك في أهمية العودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين ، وبخاصة منهج عبد القاهر الجرجاني ودراسة البلاغة من خلال آثارهم ، وهو ما اتجهت إليه جهود كثير من الدارسين والباحثين المعاصرين إثر دعوة الشيخ محمد عبده ، بيد أن ذلك يصعب على طلبة مراحل التعليم العام وإن ناسب طلاب مرحلة التعليم الجامعي والعالي .

٥. إن الدعوة إلى إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة ، وإدخال موضوعات المعاني والبيان والبديع في باب الأسلوب أو علم الأسلوب دعوة مردودة ؛ لأنها تؤدي إلى اختفاء علم البلاغة العربية وذوبانه فيهما ؛ لأنها تناقض العلاقة الطبيعية بين العلوم ، وتخالف مفهوم التجديد الحق الأصيل المستقيم الذي هو امتداد وتهذيب وإضافة ، وليس انقطاعا أو إلغاء .

٦. للتقسيم الثلاثي إيجابيات وسلبيات ، فمن أظهر إيجابياته ما يحققه من غاية تعليمية ، فبه استطاع طلبة العلم استيعاب قواعد البلاغة وتمثلها بيسر وسهولة . ومن أبرز سلبياته تضييق دائرة البلاغة ، والجور على الناحية الأدبية ؛ ولذلك لا أتفق مع الآراء السابقة التي نادت بإلغائه لما فيه من المنهجية بما يحققه من غاية تعليمية . هذا مع عدم التزامه والتقيد به في تحليل النصوص الأدبية البليغة لننظر إلى بلاغتها نظرة شاملة تتجاوز النظرة الجزئية ، وتبرز خصائصها وجمالياتها .

هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم :

١. أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي : د. محمد رجب البيومي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط/١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٢. أسرار البلاغة : عبدالقاهر الجرجاني ، تح : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ، ط/٣ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٣. الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/٦ ، ١٩٦٦م .

٤. إعجاز القرآن : أبو بكر الباقلاني ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط/٤ .

٥. أمالي علي عبدالرازق في علم البيان وتأريخه ، مطبعة مقداد ، القاهرة ، ١٣٣٠هـ-١٩١٢م .

٦. الإيضاح : الخطيب القزويني ، تح : د. عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط/٥ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٧. البديع : عبدالله بن المعتز ، تح: كراتشقوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥م .

٨. البلاغة بين عهدين : د. محمد نايل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٩. البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط/٥ .

١٠. البلاغة عند السكاكي : د. أحمد مطلوب ، مطبعة دار التضامن ، بغداد ، ط/١ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .

١١. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

١٢. البيان العربي : د. بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/٦ ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

١٣. البيان والتبيين : أبو عثمان الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، ط/٤ .

١٤. تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية : د. مهدي صالح السامرائي ، المكتب الإسلامي بدمشق، ط/١ ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

١٥. تاريخ الأدب العربي : أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة ، بيروت ، ط/٢٨ ، ١٩٧٨م .

١٦. تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة، ط/١ ، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م .

١٧. تحت راية القرآن : مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط/٧ ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .

١٨. التركيب اللغوي للأدب : د. لطفي عبدالبديع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٧٠م .

١٩. تقويم نظرية الحداثة:د. عدنان النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط/١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٢٠. دراسة في اللغة والشعر : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢١. دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح وتعليق محمد عبده ومحمد رشيد رضا ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
٢٢. دلالات التراكيب : د. محمد محمد أبو موسى ، مطبعة دار التضامن ، نشر مكتبة وهبة ، ط/، ١٤٠٨هـ-٩٨٧م .
٢٣. شروح التلخيص ، التفتازاني ، السبكي ، المغربي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
٢٤. الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث:د. محمد الكتّاني ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط/١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م .
٢٥. علم الأسلوب : د. صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٨٥م.
٢٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، ط/٤ ، ١٩٧٢م .
٢٧. فن القول : أمين الخولي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، نشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٢٨. قراءة جديدة لتراثنا النقدي : نادي جدة الأدبي الثقافي ، ع/٢٩ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٢٩. القزويني وشروح التلخيص : د. أحمد مطلوب ، نشر مكتبة النهضة، بغداد ، ط/١ ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .
٣٠. كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، تح : علي البجاوي وأبوالفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ط/٢ .
٣١. الكشاف : الزمخشري ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣١٨هـ ، نشر دار المعرفة ببيروت .
٣٢. مدخل إلى علم الأسلوب : د. شكري عياد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط/١ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٣٣. المصباح : بدر الدين بن مالك ، تح : حسني عبدالجليل ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بالقاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٣٤. مفتاح العلوم : أبو يعقوب السكاكي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة، ط/١ ، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م .
٣٥. مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء : د. حامد صالح الربيعي ، مطابع جامعة أم القرى ، ط/١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
٣٦. مناهج تجديد : أمين الخولي ، مطبعة دار المعرفة ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٦١م .
٣٧. من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده : محمد خلف الله أحمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .
٣٨. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١م .
٣٩. النصوص الأدبية تحليلها ونقدها:د. علي عبدالحليم محمود ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،

الرياض ، ط/١ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .
٤٠ . النقد الأدبي "أصوله ومناهجه" : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت .
٤١ . النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين : د. العربي درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
٤٢ . نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تح : كمال مصطفى ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
٤٣ . الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني ، تح : أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة .

الدوريات :

٤٤ . مجلة فصول ، القاهرة ، المجلد الأول ، العدد الثاني عام ١٩٨١م .
٤٥ . مجلة فصول ، القاهرة ، المجلد الرابع ، العدد الرابع عام ١٩٨٤م .
٤٦ . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثلاثون .

الرسائل الجامعية :

٤٧ . أمين الخولي ومدرسته في البلاغة والنقد : زينب عبدالجواد ، رسالة دكتوراه ، مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ، جامعة الأزهر ، عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
٤٨ . محاولات التجديد في البلاغة العربية عند المعاصرين – دراسة تحليلية نقدية: رسالة دكتوراه ، مكتبة كلية اللغة العربية بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .